روايات عبير

مارجري لوتي

الهوى يقرع مرّة

www.elromancia.com

مرمودية

٣٤

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 34

الهوى يقرع مرّة

كثيراً ما يقع الانسان فريسة الصراع بين الواجب والعاطفة.... وكثيراً مايبقى القلب معلقاً في الهواء لايدري كيف ومن يختار...

سامنتا الفتاة التي ربّاها العمّ ادوارد بعد وفاة والدها صديقه الحميم ووجدت نفسها في صراع بين واجبها تجاه الرجل الذي منحها ثقته على المدرسة الخاصة التي يملكها، وبين قلبها الذي تعلق بمدير المدرسة الجديد آدم رويل.

اعترف لها آدم بحبه ولكنه هجرها بعد رؤية شقيقتها ليزا التي أخبرتها قصة ملفقة عن آدم رويل محطّم قلوب الفتيات. لم تكن سامنتا تدري حقيقة العلاقة التي ربطت بين آدم وليزا، وبين آدم والمشرفة الجديدة في المدرسة، وعاشت في صراع...

ولكن من يحل مشكلتها؟ ريتشارد ابن مدير المدرسة، أم آدم رويل مدير المدرسة الجديد، أم ليزا حين تصارحها بالحقيقة...

لبنان ٧ ل.ل.	الكويت ٧٠٠ ف	اليمن ٨ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ٨ ل.س	الامارات ٩ د	تونس ١ د	U.K. £ 1
الأردن ٥٠٠ ف	البحرين ٩٠٠ ف	ليبيا ٧٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ٩ ر	المغرب ٨ د	Greece Drs 120
السعودية ٨ ر	عمان ٩٠٠ ب	مصر ٨٠٠م	Cyprus P 1

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
FLOWERS IN STONY PLACES

© MARJORY LEWTY 1975
© 1982 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف مارجوري لوتي
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة
لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ ـ مفاجأة في المدرسة

كانت سامانتا تقف على السلم، تقوم بطلاء سقف غرفة السكرتارية الملحقة بغرفة ناظر المدرسة في مدرسة كينغزورثي التي تعمل سكرتيرة بها، عندما سمعت صوت جرس الباب الأمامي. وكانت المدرسة في ذلك الوقت خالية من التلاميذ والمدرّسين، فهذا هو الأسبوع الثالث في عطلة عيد الفصح. ووسط السكون التام الذي يخيّم على المدرسة سمعت سامانتا بوضوح صوت أقدام، السيدة كمبل التي تعمل مشرفة بالمدرسة، وهي تعبر البهو الخشبي لتتجه الى الباب.

وتسمّرت سامانتا في مكانها أعلى السلم، وتملّكها شعور بالخوف، تبادر الى ذهنها لأول وهلة، أن أحداً يريد أن يبلغها رسالة من المستشفى الذي يعالج به العم ادوارد، فقد أبلغتها الممرضة أمس أنّ العملية التي أجريت له تمّت بطريقة مرضية تماماً، وأنه لا داعي للقلق، ولكنها عملية دقيقة ولا يمكن التأكد تماماً من نتيجتها قبل بضعة أيام.

وأخذت الأفكار تتوارد على ذهن سامانتا وهي في وقفتها هذه، وحاولت اقناع نفسها بأنه اذا كانت حالة العم ادوارد قد ساءت فعلاً فمن البديهي أن تبلغها المستشفى عن طريق الهاتف، بدلاً من تكبّد مشقة ارسال شخص لابلاغها بذلك، فالمستشفى تبعد كثيراً عن المدرسة. وفكّرت، ربما كان الهاتف معطلاً فهي

www.elromancia.com

ليست متأكدة تماماً من أنه يعمل لأنها لم تستخدمه منذ صباح اليوم. وظلّت سامانتا في تساؤلاتها وكتمت أنفاسها في انتظار معرفة القادم وهي تسمع صوت دقات قلبها وسط السكون الذي يخيّم على المكان.

سمعت سامانتا صوت الباب الأمامي يفتح، ثم صوت السيدة كمبل وهي تتحدث مع شخص ما، ثمّ تنفست سامانتا الصعداء وهي تسمع صوت أقدام تصعد الدرج بسرعة وصوت أختها ليزا تنادي:

«سامانتا، سام أين أنت؟»

وتنهّدت سامانتا بعمق وأجابت في صوت خفيض أنهكه القلق وطول الترقّب:

«أنا هنا في المكتب يا ليزا».

وفتح الباب ووقفت ليزا تنظر الى الغرفة وقد بدت في حالة شديدة من الفوضى، وغطيت أرضيتها بالورق لحمايتها من بقع الطلاء الذي تملأ رائحته الغرفة فظهر على وجه ليزا الاستياء، وهي تقول لأختها:

«سام ماذا تفعلين، وما كل هذه الفوضى الفظيعة التي تملأ المكان؟»

ونظرت اليها سامانتا من مكانها أعلى السلم وأجابتها ضاحكة:

«إنني أحاول أن أكون حذرة وأنا أقوم بعملية الطلاء، ولكنك تعرفين أنه لا يمكن طلاء سقف الغرفة من دون بعض الفوضى».

فسألتها ليزا:

«ولكن... لماذا تقومين أنت بهذا العمل، ألم يكن بمقدورك الاستعانة بأحد الأشخاص للقيام بذلك؟»

وابتسمت سامانتا وهي تنظر الى أختها الصغرى، التي ترتدي ثياباً فاخرة وقد أمسكت بيدها حقيبة وقفازاً من الجلد الطبيعي الفاخر، وشعرها الأشقر الطويل المنسدل على كتفيها. وفكّرت سامانتا وهي تنظر الى ليزا بأنه كان من حسن حظ أختها فعلاً أن تتزوّج رجلاً غنياً.

وردّت سامانتا قائلة:

«أنت تعرفين أنه من الصعب الاستعانة بأحد على الفور، وخطرت لي فكرة طلاء الغرفة فجأة».

ولم تقل سامانتا لأختها إنها تعمّدت القيام بهذه العملية في هذا الوقت بالذات، لرغبتها في قتل الوقت والتغلّب على القلق الذي تشعر به أثناء إجراء العملية الجراحية للعم ادوارد.

وتقدّمت ليزا الى داخل الحجرة وهي تقول:

«والآن يا سام أرجوك أن تنزلي وتستعدّي للذهاب معي، فقد حضرت لأصطحبك اليوم الى منزلي. ويمكننا تناول الغداء في وريتش في طريقنا الى المنزل، كم يلزمك من الوقت لتتخلّصي من هذه الثياب المضحكة».

«أحتجّ على ذلك، فهذا أحسن ثوب عندي».

أجابت سامانتا ضاحكة. ثم اضافت:

«ولكنني أعتقد أنني لن أتمكن من الذهاب معك يا ليزا».

واتسعت عينا ليزا، واكتسى وجهها الجميل بالتعبير الذي طالما لازمها منذ كانت طفلة صغيرة، عندما كانت لا تجاب الى شيء تطلبه وقالت محاولة التأثير على أختها:

«ولكن يا سام ياعزيزتي لا بد أن تحضري معي، فانّ الملل سيقتلني اذا بقيت وحدي طوال اليوم. فقد سافرت عائلة دروانت الى نيويورك. وسافرت بوبي كرمين مع بيل لحضور أحد الاجتماعات في امستردام، وفاغن كما تعرفين في باريس الآن، وكم كنت أودّ اللحاق بها، ولكنني أخشى أن أفعل ذلك بدون علم روبرت فأنت تعرفين أنه سيثور لو فعلت ذلك بدون اذنه».

فقالت سامانتا وقد شرد ذهنها قليلاً:

«لقد تزوجت رجلاً بمعنى الكلمة يا ليزا وانت تعرفين ذلك».

وودّت سامانتا لو أن ليزا سألتها عن العم ادوارد، ولكنها لم تسأل،

ربما نسيت تماماً أنه أجرى عملية جراحية فهو لم يكن بالنسبة إليها سوى صديق قديم لوالدها، لا تربطها به عاطفة أو عرفان بالجميل كما هو الحال مع سامانتا.

وكان ذهن ليزا مشغولاً بأمور أخرى، وقالت وهي تتنهد في عمق:

«أنت تعرفين يا سام أنني أحب هذا الطراز العاطفي المتسلط من الرجال، فأنا لست مثلك يا سام».

ونظرت إليها سامانتا متسائلة:

«حقا، ولكن ماذا تعنين بذلك؟»

وتلعثمت ليزا وهي تقول:

«لا تحملي كلامي أكثر مما يعني، أنا لا أعني أنك غير جذابة، ولكنك لست عاطفية أليس كذلك يا سام. كنت ترددين دائماً أنك لن تسمحي لأي رجل بأن يسيطر عليك، أو يثير عواطفك، وأنت تعرفين أن هذا الطراز من الرجال هو الذي يتمتع بالرجولة الحقة. وأنت تعرفين ما أعني».

وردّت سامانتا وهي تبتسم قائلة:

«أعتقد أنني أعرف ما تعنين».

ومرّت ليزا على شعرها الناعم بيدها في حركة تدلّ على الرضى التام عن نفسها وهي تقول:

«أنا أعترف أنّ روبرت يسبب لي مشاكل في كثير من الأحيان بسبب تسلطه وغيرته عليّ، ولكن هذا شأن الطراز العاطفي من الرجال. ولكنك يا سام لن تضطري الى مواجهة مثل هذه المشاكل في حالة زواجك من ريتشارد».

ونزلت سامانتا من فوق السلم وأخذت تنفض عن نفسها آثار الطلاء وهي تقول:

«ربما كنت على حق فيما تقولين يا ليزا».

ولم تزد سامانتا على ذلك فهي لم ترغب الخوض مع ليزا في مثل هذا الحديث، أو الاستماع اليها وهي تتحدّث عن طريقة زوجها في اظهار حبه لها. فلم

تكن تعجبها طريقة أختها في الحديث عن زوجها وعن أسرارهما العاطفية. وكانت تشعر داخلياً بالنفور من مثل هذه الأمور.

وفكّرت لو أنها متزوجة فلم يكن من الممكن لها أبداً أن تناقش أموره مع أي شخص، وخاصة بالنسبة لمدى براعته في أمور الحب. ولكنها في أي حال لو تزوجت ريتشارد فلن يكون هناك شيء مشين يمكنها التحدّث عنه. فان ريتشارد بارنز لم يكن من الطراز العاطفي من الرجال، القادر على اظهار عواطفه. ولكنها هي أيضاً لم تكن عاطفية، انها لا تدري حقاً ما اذا كانت عاطفية أم لا. ولكن الشيء الوحيد المؤكد هو أنها لم تعثر بعد على الرجل الذي يمكنه ايقاظ عواطفها.

وأنتبهت سامانتا من أفكارها واتجهت الى باب الغرفة فجأة وهي تقول:

«سأعدّ لنا بعض القهوة».

ثم توقّفت قليلاً وأضافت:

«على فكرة لقد أجريت العملية بنجاح للعم ادوارد».

ووقفت ليزا في منتصف الغرفة ورفعت يدها لتضعها فوق جبهتها وبدا وكأنها تذكرت فجأة شيئاً هاماً وقالت:

«يا إلهي، نسيت تماماً كل شيء بخصوص هذا الموضوع، لقد شغلني تماماً الاعداد لسفر روبرت الى مانشستر، حتى أنني نسيت كل شيء عن العم ادوارد. كيف حاله الآن انه بخير أليس كذلك. أرجو ذلك يا سام لأنني أعرف مدى تعلقك به، أنا أيضاً أحب الرجل العجوز ولكن كل ما في الأمر انني لا أراه كثيراً منذ زواجي بروبرت».

وأضافت ليزا تسأل وهما تعبران البهو:

«هل سيعود العم ادوارد الى المدرسة مع بدء الفترة الدراسية القادمة؟»

«لا، أخشى أنه لن يتمكن من ذلك».

وساد الصمت بينهما لفترة. كانت ليزا من الطراز الرقيق من الأشخاص،

الذي لا يحب تحمّل المسؤولية أو الخوض في حديث من المشاكل أو الموضوعات الجادّة. وكان الجميع منذ صغرها يحاولون تجنيبها التعرّض لأي مشاكل أو صدمات، نظرت سامانتا الى أختها وقالت:

«كانت العملية خطيرة للغاية، وسيلزمه وقت طويل قبل التماثل للشفاء تماماً والعودة الى العمل».

ثم أضافت وقد بدت في عينيها نظرة قلق:

«اذا كان سيقدّر له العودة الى العمل فعلاً».

وبدا على ليزا أنها تودّ عدم الاستطراد في هذا الحديث فقالت بصبر نافد:

«لا تقلقي يا سام فان العم أدوارد سيكون بخير، وسيمكنه العودة الى عمله، فالطب قد تقدّم كثيراً هذه الأيام».

فردت سامانتا في لهجة يشوبها الحزن:

«هذا ما كنّا نردده دائماً بالنسبة لوالدنا أليس كذلك يا ليزا ولكن ماذا حدث؟»

واكتسى وجه ليزا الجميل بالحزن وامتلأت عيناها بالدموع وهي تقول:

«لماذا تقولين ذلك الآن يا سام، أنت تعرفين أن ذلك يسبب لي الحزن فأنا لا يمكنني أن أفكر في أنّ أبي...»

وانحدرت الدموع من عينيها الجميلتين، فأخرجت منديلاً من حقيبتها وأخذت تمسح عينيها فقالت سامانتا في محاولة لتهدئتها:

«أنا آسفة يا ليزا، لقد نسيت أن الحديث في هذا الموضوع يحزنك. والآن تعالي معي الى المطبخ لنعدّ بعض القهوة».

قالت سامانتا ذلك وهي تدفع باب المطبخ الذي لم يكن به أحد في ذلك الوقت، فقد كانت السيدة كمبل مشغولة ببعض الأعمال في الطابق العلوي. وبعد أن انتهت سامانتا من إعداد القهوة ملأت ثلاثة أقداح أخذت أحدها واتجهت بها إلى الطابق العلوي وهي تقول:

«سأحمل هذا القدح للسيدة كمبل فهي من الطراز الذي يتفانى في عمله، ولن

تفكّر أبداً في التوقف ولو قليلاً لاعداد فنجان من الشاي أو القهوة لنفسها».

وتوجّهت سامانتا الى حيث توجد السيدة كمبل في الطابق العلوي، التي تقوم بتنظيف إحدى الغرف بالمكنسة الكهربائية. وكانت السيدة كمبل سيدة ريفية قوية البنية، من الطراز الذي لا يحب أن يضيّع الوقت في الحديث. وعندما قدمت لها سامانتا فنجان القهوة علت وجهها ابتسامة من ابتساماتها النادرة وهي تقول:

«شكراً يا أنسة غولد. أرجوك أن تتركي الفنجان فوق الطاولة».

قالت السيدة كمبل ذلك ثم استغرقت في عملها من جديد.

وعندما عادت سامانتا الى المطبخ كانت ليزا تجلس الى الطاولة الخشبية الكبيرة التي تتوسطه، وقد عادت الى طبيعتها المرحة من جديد. وعندما جلست سامانتا نظرت اليها وهي تقول:

«انني آسفة حقاً يا سام لأنني نسيت كل شيء عن العم ادوارد وأرجو ألاّ تعتقدي أنني لا أهتم به».

«بالطبع يا ليزا».

ونظرت سامانتا الى أختها وهي تبتسم، كان من الصعب على أيّ شخص أن يغضب من ليزا لفترة طويلة.

ثمّ سألت ليزا:

«ولكن ماذا ستفعلين بدونه يا سام؟»

فلوت سامانتا شفتيها وهي تقول:

«لا أدري. انها مشكلة فعلاً، فالمدرسة لا يمكن أن تمضي بدونه ولو كان ريتشارد موجوداً هنا لأختلف الأمر، وربما أمكننا المضي في العمل حتى يتماثل العم ادوارد للشفاء. ولكن العم ادوارد يرفض تماماً أن نبلغ ابنه بأمر مرضه أو الجراحة التي أجريت له، وقد أخذ منّي وعداً بذلك لأنه يعرف مدى اهتمام ريتشارد بعمله في أميركا الجنوبية، ومدى أهمية وجوده مع الأستاذ هايز.

فهو يعتقد أن مثل هذه الفرصة قد لا تتاح له بعد ذلك».

وظهر عدم الاقتناع على وجه ليزا وهي تقول:

«ان المسألة تبدو فظيعة بالنسبة إليّ، ولا أدري ما أهمية البحث طوال النهار في أماكن ما قبل التاريخ والكهوف القديمة والمقابر. إنه شيء فظيع حقاً».

وردّت سامانتا وهي تضع بعض الفطائر أمام ليزا على الطاولة:

«ان الأمر لا يبدو كذلك بالنسبة لريتشارد فهو مهتم جداً بعلم الحفريات ولو أنه لم يتوصّل حتى الآن الى شيء يذكر».

«في أي حال أعتقد أنه آن الآوان ليعود الى المدرسة ليتولىّ العمل بدل والده حتى يتماثل للشفاء. هذا هو الحل الوحيد».

«ربما، ولكن لا يمكنه العودة الآن فان العم ادوارد يعتقد أن ريتشارد لن يتمكن من تحقيق آماله لو أنه تخلىّ عن عمله مع الاستاذ هايز ليعمل بالتدريس. وهو يريد أن يحقق ريتشارد كل ما يريده قبل العودة الى المدرسة، حيث سيكون من الصعب عليه عمل شيء آخر. فأنت تعرفين أن مهنة التدريس تستغرق كل الوقت، والعم ادوارد يريد أن يفعل ريتشارد كل ما يحلو له بوقته وهو مازال شاباً».

وضحكت ليزا بخبث وهي تقول:

«أعتقد أنني أعرف طرقاً أفضل من ذلك يمضي بها أي شاب وقته».

ثم نظرت الى أختها بطرف عينيها وهي تقول:

«أنا آسفة يا سام ما كان يجب أن أقول ذلك. ولكن ريتشارد بارنز شاب رزين للغاية أليس كذلك؟ في أيّ حال ماذا ستفعلين بالنسبة للفترة الدراسية القادمة».

وبدا القلق على وجه سامانتا وهي تجيب:

«لا أدري حقاً يا ليزا انها تبدو مشكلة كبيرة. ليس من السهل في الظروف العادية الحصول على الشخص المناسب ليشغل منصب المدير، فما بالك الآن وقد

أوشك العام الدراسي على الانتصاف. إن العثور على مثل هذا الشخص الآن يبدو مستحيلاً. وخاصة يجب أن يكون شخصاً على مستوى المسؤولية. فانّ عدداً من التلاميذ يعدّون الآن للدراسات العليا، في أي حال سيحضر أحد الأشخاص هذا المساء وسيكون عليّ أنا مقابلته والتحدّث معه عن أمور المدرسة».

ثم ابتسمت سامانتا في نوع من السخرية وهي تضيف:

«انه وضع غريب حقاً أن أقوم أنا سكرتيرة المدرسة بهذه المهمة، مع الشخص الذي من المفروض أن يكون المدير الجديد. ولكن لا بدّ من قيامي بهذه المهمة من أجل العم ادوارد».

وبدا الاهتمام على وجه ليزا وهي تسأل:

«ومن هو هذا الرجل، هل تعرفينه يا سام».

«لا، لم أره من قبل، ولكنني سمعت العم ادوارد يتحدّث عنه كثيراً من قبل، وعرفت منه أنه كان طالباً حين كان العم ادوارد يلقي محاضراته في الجامعة. منذ بضع سنوات. واستمرّت الاتصالات بينهما منذ ذلك الوقت. ولكن يبدو أنه سيتسلّم منصباً في إحدى المدارس الكبرى في شهر أيلول القادم، ولكن ليس لديه أي ارتباط في الوقت الحاضر وهو يقيم في فرنسا. اتصل به العم ادوارد هاتفياً قبل توجّهه الى المستشفى لاجراء الجراحة، ووافق على الحضور الى المدرسة هذا المساء. وأتمنّى حضوره فعلاً».

وسألت ليزا وهي تنحني فوق الطاولة لتأخذ بعض الفطائر:

«وما اسم هذا الشخص؟»

« رويل، آدم رويل»

أجابت سامانتا وهي ترفع فنجان القهوة الى فمها، ولكنها أنزلته بسرعة بعد أن لاحظت التغيّر الشديد الذي طرأ على ليزا، وقد امتقع وجهها بصورة واضحة عند ذكر اسم آدم رويل، وتساءلت سامانتا في جزع:

«ماذا حدث يا ليزا، هل تعرفين شيئاً عن هذا الشخص المدعو آدم رويل».

وازداد وجه ليزا امتقاعاً ثم علاه شحوب شديد وهي تقول:

«نعم أعرف عنه الكثير وما أعرفه لن يسرك أبداً».

ثم فجأة اندفعت تقول لأختها:

«لا يمكنك يا سام أن تسمحي لمثل هذا الشخص الفظيع، بالحضور الى هنا للعمل في المدرسة، أعتقد أنه يجب عليك أن تبحثي عن شخص آخر».

وقالت سامانتا نفسها وردّت بهدوء:

«ولكن يا ليزا أليس من الأفضل أن تهدأي قليلاً وتوضحي لي الأمر. أين قابلت آدم رويل؟»

وبدت ليزا وكأنها تجاهد لاستعادة هدوئها، ونجحت في ذلك فقد ردّت في صوت بدا هادئاً وطبيعياً:

«كان ذلك منذ زمن بعيد، لا تهتمي بما قلت يا سام».

ثم أفاقت بعد أن أخذت رشفة من فنجان القهوة.

«أرجوك يا سام انسي كل شيء عن هذا الموضوع، كل ما في الأمر أنه كان مفاجأة لي، أن أسمع أسم آدم رويل يذكر أمامي بعد كل هذه المدة».

ولكن سامانتا ألحّت في معرفة المزيد وقالت:

«ولكن يا ليزا أرجوك حدّثيني بكل ما تعرفين عن هذا الشخص. تعرفين أنني سأعمل معه طوال الفترة الدراسية القادمة، ويهمّني معرفة المزيد عنه، ولن أشعر بالراحة أبداً حتى توضحي لي الأمر، لأنني سأظل أتساءل عما فعل آدم رويل».

نظرت سامانتا الى أختها عبر الطاولة في انتظار المزيد من التفصيلات. كانت ليزا تصغر سامانتا بحوال عام واحد، والشبه كبير بينهما حتى يصعب أحياناً على أيّ شخص غريب أن يفرّق بينهما. كانتا متشابهتين في لون الشعر الأصفر، ولو أنّ لون شعر ليزا كان أفتح قليلاً، ومتشابهتين أيضاً في لون العيون الأزرق. وعلى الرغم من ذلك، كان واضحاً أنّ ليزا تتمتّع بقدر أكبر من الجمال وسامانتا تدرك ذلك جيداً. ولكنها كانت تحب ليزا حباً ناضجاً

متسامحاً لا يتناسب مع فتاة في سن الرابعة والعشرين. وربما كان ذلك يعود الى أن والدتهما توفيت عقب ولادة ليزا مباشرة، مما جعل سامانتا تشعر بمسؤوليتها تجاه أختها بوصفها الأخت الكبرى.

وقالت سامانتا وهي تحاول استدراج أختها للحديث:

«والآن يا ليزا أخبريني ما تعرفين عن أمر آدم رويل».

«أنت دائماً تحصلين على ما تريدين يا سام».

وأشارت ليزا بيدها بطريقة يائسة واستطرت تقول:

«ان هذه المسألة لا تخصّني انا بصفة شخصية، ولهذا لم أكن أودّ أن أحدثك عنها. ولكنني أمام الحاحك أجد نفسي مضطرّة للحديث».

واستطردت ليزا قائلة:

«لقد حدث ذلك خلال الصيف الذي سبق زواجي من روبرت، عندما كنت أنت في لندن تتلقين تدريبك على أعمال السكرتارية. في ذلك الوقت أقام العم ادوارد والعمة بيتي مباراة للتنس في المدرسة خلال العطلة الصيفية، وطلبا مني احضار إحدى الصديقات معي ليكمل العدد اللازم، وبالفعل اصطحبت معي احدى الصديقات وأفضّل ألاّ أذكر اسمها فأنت لا تعرفينها. وكانت هذه الصديقة تقيم مع بعض أقاربها في البلدة هنا، خلال العطلة ونشأت بيننا صداقة، وبعد انتهاء العطلة عادت الى بلدتها التي أعتقد أنها كانت دورسيت.

في ذلك الوقت تصادف وجود آدم رويل في البلدة، وكان العم أدوارد قد دعاه للحضور الى المدرسة. وحاول آدم خلال فترة وجوده بالبلدة بكل الوسائل، ايقاع صديقتي في حبائله وقد نجح في ذلك بالفعل، وتعلقت به صديقتي الى درجة الجنون. وكانا يشاهدان معاً دائماً في الصباح وفي المساء وربما... لست أدري. .. واستمرّ الحال بينهما لعدّة أسابيع، ثم فجأة وبدون أية مقدمات تخلّى آدم عن الفتاة، وغادر البلدة وتركها بعد أن تحطم قلبها، هكذا بكل بساطة».

وأخذت ليزا تعبث بالفنجان الموضوع أمامها على الطاولة وبدا كأنها انتهت من قصتها عند هذا الحد فقالت سامانتا:

«هل هذا هو كل شيء يا ليزا؟ إنها قصة عادية للغاية تحدث كل يوم ومع أي فتاة. وفي أي حال لا يمكن أن تصدري حكماً على هذا الشخص، ما لم تكوني على علم تام بجميع الظروف التي أحاطت بهذه القصة».

«ليس هذا صحيحاً. فأنا يمكنني أن أصدر مثل هذا الحكم، فقد عاصرت هذه القصة بجميع ظروفها كما أخبرتك من قبل».

ثم استطردت بطريقة أكثر انفعالاً:

«انني أعرف طرقاً كثيرة لانهاء أي علاقة بين رجل وفتاة، ولكن ليس بهذه الطريقة الوحشية التي تنطوي على منتهى القسوة».

واهتزّ صوت ليزا وهي تقول الجملة الأخيرة، وبدا الانفعال واضحاً على وجهها فنظرت اليها سامانتا بفضول قائلة:

«أشعر أن هناك شيئاً غريباً في هذه القصة. ماذا حدث يا ليزا يبدو لي أنك تعرفين عن هذا الأمر أكثر مما تظهرين. هل حدث أي تورط من جانبك في هذه المسألة؟ أرجوك أريد أن أعرف كل شيء».

وظهر الحزن على وجه ليزا وقالت:

«أنت يا سام لا يفوتك شيء على الاطلاق، فعلاً حدث ذلك الى حدّ ما. فقد كانت صديقتي بعد أن تخلّ عنها آدم في حالة يرثى لها، وخشيت أن ترتكب عملاً أحمق، وهي في هذه الحالة من اليأس والحزن. أنت تعرفين ما أعني».

«هل كنت تخشين أن تنتحر مثلاً؟»

فضحكت ليزا بطريقة غريبة وهي تقول:

«أوه يا سام لماذا تصرّين دائماً على التحدّث عن مثل هذه الأمور ببرود؟»

«كل ما في الأمر أنني أفضّل ألاّ أغلّف الكلمات المقززة، في غلاف من الكلمات الرقيقة. أرجوك أن تستمري في حديثك».

واستطردت ليزا تقول:

«حسناً، لقد شعرت بالخوف فعلاً على صديقتي، ورجتني أن أذهب اليه لأحاول أن أعيد المياه الى مجاريها بينهما».

فنظرت سامانتا اليها في ذهول وهي تقول:

«أنت فعلت ذلك يا ليزا، وهل ذهبت إليه بالفعل؟»

«نعم ذهبت اليه، كان غباء منّي أن أفعل ذلك، أو أقبل التدخل في مثل هذه المسألة».

وارتعش صوتها وبدا عليها الاضطراب الشديد وهي تستطرد قائلة:

«لم يكن هناك ما يدعو أبداً لأن يعاملني آدم رويل مثل هذه المعاملة الفظيعة، فقد حاولت أن أصلح بينه وبين صديقتي».

وسكتت قليلاً قبل أن تقول في انفعال واضح:

«لا يمكنك أبداً يا سام أن تتخيّلي الأشياء الفظيعة التي قالها لي».

ونظرت سامانتا الى أختها التي ارتعش فمها وهي تقول الجملة الأخيرة وقالت:

«أعتقد أنني أعرف، ويمكنني أن أتصوّر تماماً ما حدث بينكما. لقد سعيت أنت الى ذلك، كان الأجدر ألاّ تذهبي اليه. المهم في الأمر ماذا حدث بعد ذلك؟»

«رحل بعد ذلك عن البلدة فوراً. علمت ذلك من العم ادوارد».

«وهل عرف العم ادوارد بهذا الأمر؟»

وظهر الجزع على وجه ليزا وهزّت رأسها في عصبية بالنفي وهي تقول:

«لا... لا... انني على يقين من أنه لم يعرف شيئاً عن هذا الموضوع، فأنت تعرفين العم ادوارد، القراءة تستغرقه وليس لديه وقت للاهتمام بمثل هذه الأمور».

وسألت سامانتا:

«وماذا عن الفتاة؟»

«عادت الى بلدتها دورسيت بعد أن أقنعتها بأنها لم تخسر شيئاً، ولكنها كانت

مستاءة للغاية».

وأنهت سامانتا شرب القهوة وهي تقول:

«في أيّ حال شكراً لك يا ليزا لتحذيري من آدم رويل. ولكنني لا أرى أن هذه المسألة سيكون لها أثر بالنسبة لحضوره الى هنا، وليس من المحتمل أبداً أن يتكرّر ما حدث مع صديقتك هنا في المدرسة، فان مثل هذا الأمر لا يمكن أن يحدث مثلاً مع الآنسة بيلي أو سيسيلي ترامب، أما بالنسبة إليّ فانني لست من طراز الفتيات اللواتي يقدمن على الانتحار بسبب قصة حب فاشلة».

«أفهم من ذلك، أنك ستسمحين له بالحضور الى المدرسة بعد كل ما عرفت عنه؟ هل تعتقدين أنه تصرّف حكيم؟»

وضحكت سامانتا وهي تقول:

«حقاً يا صغيرتي إنك تبدين اهتماماً أكثر من اللازم بهذه المسألة. وفي أيّ حال ليس لي دخل بها فأنت تعرفين أن العم ادوارد هو الذي اختار آدم رويل وطلب منه الحضور. وكل ما يهمني هو العثور على شخص مناسب ليحلّ مكان العم ادوارد حتى يتماثل للشفاء التام، ويبدو لي أن آدم رويل مناسب تماماً من الناحية الاكاديمية لتولّي منصب المدير».

ووقفت ليزا وأخذت تعدل من ملابسها وهي تقول:

«حسناً. في هذه الحالة لن أحضر الى المدرسة أبداً طوال فترة وجود آدم رويل هنا. وأؤكد لك ذلك يا سام».

فردّت سامانتا في لهجة عابثة:

«سأحضر أنا لأراك يا ليزا... وسأحكي لك عن القلوب التي حطّمها آدم رويل في المدرسة».

فقالت ليزا وهي تهمّ بالخروج:

«حسناً يا سام يمكنك أن تسخري كما تشائين، ولكنّك سترين بنفسك أنني كنت على حق، عندما حذرتك من هذا الشخص المدعو آدم رويل محطّم

القلوب، والذي لا قلب له على الاطلاق».

قالت ليزا ذلك واتجهت الى الباب وهي تقول:

«يجب عليّ الذهاب الآن، فقد يحضر آدم رويل في أي لحظة».

وقفت سامانتا على الباب الأمامي للمدرسة، تلوحّ لليزا وهي تبتعد في سيارتها السبور البيضاء، ثم عادت وقد بدا عليها التفكير العميق، واتجهت الى غرفة السكرتارية لتستأنف من جديد عملها في طلاء السقف. وأخذت تفكّر في كل ما قالته ليزا عن آدم رويل.

عندما حان وقت الغداء كانت سامانتا قد انتهت من عملية الطلاء، وقد بدا سقف الحجرة أبيض لامعاً. نظّمت الغرفة ثم توجهّت الى المطبخ، حيث تناولت غداءها واتجّهت الى غرفتها بعد ذلك، لتستعدّ لاستقبال آدم رويل.

كانت سامانتا حتّى قبل مجيء ليزا، تفكّر في مسألة حضور آدم رويل الى المدرسة بشيء من القلق، فلم يكن من السهل عليها أن تقبل تواجد شخص غريب في المدرسة، وإدارته لها طوال الفترة الدراسية القادمة. فهي لم تتعوّد على العمل مع أي شخص غريب، ولم يكن من السهل عليها ذلك، خاصة بعد تعاملها مع العم ادوارد الذي كانت طريقته في التعامل مع الجميع، تجبرهم على احترامه وحبّه. كان إلى جانب حزمه متفهماً تماماً للمشاكل التي يتعرّض لها التلاميذ وهيئة التدريس. ولذلك فانه لم يكن من السهل أبداً على سامانتا تقبل فكرة حلول شخص آخر مكان العم ادوارد وخاصة إذا كان هذا الشخص شاباً.

كان لا بدّ للأمور أن تمضي في المدرسة على أكمل وجه، تحت إشراف المدير المؤقت الجديد، حتى يتمّ شفاء العم ادوارد ويعود لمزاولة عمله. وأخذت سامانتا تفكّر في الطريقة التي يمكنها أن تمهّد للظهور المفاجيء لآدم رويل على مسرح الأحداث في المدرسة، لأن أحداً من هيئة التدريس لم يكن يعرف شيئاً عن مرض العم ادوارد، فقد فضل ألاّ يخبرهم بأمر مرضه إلاّ بعد انتهاء

الفترة الدراسية السابقة، وذهاب الجميع لقضاء عطلة عيد الفصح. فقد علمت في ذلك الوقت فقط أنّ العم ادوارد سيذهب الى أحد الاخصائيين لاستشارته في أمر مرضه ثم توالت الأحداث بعد ذلك بسرعة، وذهب العم ادوارد الى المستشفى. وكان من المقرّر أن تجرى له الجراحة في عطلة الصيف مع نهاية العام الدراسي ولكن حالته تدهورت سريعاً وأصبحت الجراحة أمراً ضرورياً».

شعرت سامانتا بالأسى، وامتلأت عيناها بالدموع وهي تتذكر وجه العم ادوارد المرهق، وهو يجلس في مقعده خلف المكتب في انتظار عربة الاسعاف لنقله الى المستشفى. وتذكّرت كلماته وهو يقول لها:

«أشعر بالأسف لأنني أتركك وحدك تواجهين كلّ هذه المسؤولية. وكل ما أريده هو أن...»

ثمّ توقّف عن الكلام، فقد فاجأته نوبة من الألم فوضعت ذراعها حول كتفيه، ولم تستطع أن تفعل شيئاً لتخفّف عنه سوى أن تطمئنه الى أنّ كل شيء سيمضي على خير ما يرام في المدرسة وكأنه موجود في انتظار عودته من المستشفى.

وزادها ذلك عزماً على الالتزام بوعدها للعم ادوارد، وصمّمت على أن يمضي كل شيء في المدرسة، بسهولة ونظام تحت ادارة آدم رويل المدير المؤقت الجديد، وأن تحاول التعاون معه بقدر الامكان.

وفكّرت سامانتا في أن حديث ليزا عن آدم رويل ووصفها له بأنه وحش لا قلب له، قد يكون مبالغاً فيه الى حدّ كبير، ولا يوجد أي احتمال لأن يمارس رويل هوايته في تحطيم القلوب في هذه المدرسة. صعدت سامانتا الى حجرتها لتعدل من مظهرها قبل وصول آدم، لتظهر بمظهر السكرتيرة، وليس الفتاة الجميلة. فقد تعلّمت أثناء تدريبها على أعمال السكرتارية في لندن، أنّ مهمة السكرتيرة الناجحة أولاً هي القيام بأعمالها كسكرتيرة، وليس تنفيذ الأوامر الأخرى التي يمكن لمديرها أن يحققّها في الخارج. وكانت سامانتا مقتنعة تماماً بهذا، لأنها تعتقد أنه من الأفضل فعلاً عدم الخلط بين العمل والمرح. وفي الساعة

الثانية كانت سامانتا قد انتهت من تغيير ملابسها، واستعدّت لاستقبال آدم، ثم اتجهت الى مكتب العم ادوارد حيث جلست على المقعد الكبير خلف المكتب. وكانت تبدو أنيقة للغاية في زيها الأزرق الذي تحلّيه ياقة بيضاء، وانسدل شعرها الذهبي على كتفيها، وبدت رائعة الجمال وقد انعكس الانفعال الذي تشعر به على وجنتيها، فكساهما حمرة جذّابة. لم تكن سامانتا لتصدّق أحداً لو امتدح جمالها، فقد نشأت منذ صغرها وهي تعرف أن ليزا هي الأخت الجميلة وليست هي.

وفكّرت سامانتا أنه من غير اللائق أن تستقبل المدير الجديد، وهي تجلس في كرسّي العم ادوارد، فنهضت من مكانها واتجهت الى الجانب الأخر من المكتب. وبعد فترة قليلة سمعت صوت جرس الباب الأمامي ثم سمعت عبر البهو صوت رجل يتحدّث مع السيدة كمبل وفتح باب المكتب فرأت السيدة كمبل وهي تعلن لها قدوم آدم رويل.

وعلى الرغم من أن سامانتا كانت قد أعدّت نفسها لهذا اللقاء إلاّ أنّ قلبها أخذ يدق بعنف و آدم رويل يخطو الى داخل الغرفة، كانت تدرك تماماً أهميّة هذا اللقاء، ووقفت وخطت خطوتين في اتجاه الرجل الفارع القوام الواقف أمامها وهو يرتدي حلّة أنيقة من التويد الرمادي. ومدّت يدها وارتسمت ابتسامة مرحبة فوق شفتيها وهي تقول:

«كيف حالك يا سيد...»

وفجأة انهار كل ما أعدّته من قبل لهذا اللقاء، فقد حملق فيها الرجل بذهول كمن أصابته صاعقة، وسمعت صوته يهدر غاضباً كالرعد وهو يقول:

«آنسة غولد، ماذا يدور هنا... وماذا تفعلين هنا بحق السماء».

ورجعت سامانتا خطوة الى الوراء من هول المفاجأة، لكنها تمكّنت بعد جهد من استعادة هدوئها، وقالت بصوت حاولت أن يكون هادئاً بقدر الامكان:

«أعتقد أنك مخطيء يا سيدي. فاننا لم نلتق من قبل».

ووقف الرجل يحملق فيها كأنه لا يصدّق عينيه، ونظرت سامانتا اليه بثبات. كان جذاباً لولا هذه التقطيبة التي تعلو وجهه، وهو من الطراز الذي تلفت رجولته الأنظار. وعلى الرغم من محاولتها الاحتفاظ بهدوئها، إلاّ أنها كانت تشعر بالدماء تندفع الى وجنتيها. وفي اللحظة التي بدأت تشعر بأنه لن يمكنها الصمود أكثر من ذلك، جاءها صوته وقد هدأت نبراته وهو يقول:

«شيء غريب حقاً، نفس الشكل، ونفس الاسم».

واستطرد معتذراً.

«أرجوك اغفري لي، يبدو أنني أخطأت».

وقال متسائلاً:

«هل لك أخت توأم؟»

وفكّرت سامانتا سريعاً، لا بدّ أنه خلط بينها وبين ليزا، فالشبه كبير بينهما وقد مضى على لقائه بها بضع سنوات. ولمّا كانت تدرك أنه ليس هناك احتمال لحضور ليزا الى المدرسة، ورؤية آدم لها فلم تشأ إحياء هذه الذكرى المؤلمة، واكتفت بأن نفت أن لها أختاً توأماً.

وهز الرجل كتفيه ووجهه ما زال ينطق بالحيرة وقال:

«لا بأس أكرّر أسفي لما حدث فقد كنت وقحاً للغاية».

ولاح شبح ابتسامته على شفتيه.

ونظرت سامانتا اليه، كانت عيناه سوداوين يشعّ منهما بريق آخاذ، ورموشه كثيفة، وعندما يبتسم كان يغمض عينيه بطريقة تمثيلية وقالت سامانتا وهي تقدّم له مقعد العم ادوارد:

«لا عليك. هذه اشياء كثيراً ما تحدث تفضل بالجلوس».

وجلس آدم أمامها وبدا عليه أنه يريد التحدّث مباشرة في الموضوع الذي أتى من أجله وقال:

«أعتقد أنه من الأفضل أن نتحدّث فوراً في التفصيلات، أنت...»

«سامانتا غولد سكرتيرة المدرسة».

«آه. نعم سامانتا».

ردّد الاسم وهو ساهم، ونظر اليها مرة أخرى وكأنه يريد أن يتذكر شيئاً ثم قال:

«في الحقيقة لا أكاد أعرف شيئاً عن المدرسة، فقد مضى زمن طويل منذ حضوري الى هنا».

قال هذا والتفت اليها سريعاً، هل ما زال يظنّ أنها ليزا وأنها ترفض الاعتراف بذلك؟

«كم مضى عليك في العمل هنا يا آنسة غولد؟»

وردّت سامانتا:

«عملت سكرتيرة هنا لمدّة أربع سنوات، ولكنني أعيش في المدرسة منذ فترة طويلة».

وبدت الحيرة على وجهه وهو يقول:

«كيف حدث أنني لم أقابلك من قبل فقد استضافني السيد بارنز منذ أربع سنوات لمدة شهر تقريباً».

«لا أظن ذلك. ففي هذا الوقت كنت في لندن أقضي فترة تدريب على أعمال السكرتارية».

ورجع بمقعده الى الخلف وهو يقول:

«مجرّد مصادفة غريبة. في أي حال إن الفتاة التي خلطت بينك وبينها لا يمكن أن تصبح سكرتيرة في مدرسة. ولا أعتقد أن لديها القدرة على ذلك».

وارتاحت سامانتا الى فكرة أنه لن يثير هذا الموضوع مرّة أخرى وسألته من جديد عمّا يريد معرفته من أمور المدرسة.

وسألها عن العم ادوارد وظهر القلق واضحاً على وجهه وهو يستمع اليها فأدركت على الفور مدى اهتمامه به. وبعد فترة قصيرة التفت اليها فجأة قائلاً:

«والآن هيّا الى العمل. أرجو أن تزوّديني بكلّ التفصيلات الممكنة عن العمل

بالمدرسة».

وفتحت سامانتا ملفاً وضعته أمامه فوق المكتب، وبعد أن تصفّح الأوراق نظر اليها قائلاً:

«أرى انه يوجد الكثير من السيدات في هيئة التدريس».

ثم فاجأها بقوله:

«هل تقيمين في المدرسة؟»

وشعرت سامانتا بحيرة تجاه هذا السؤال وردّت بالايجاب، وتلا ذلك فترة سكون بدا على آدم خلالها أنه يفكر في شيء ما فسألته بحذر:

«هل تعتقد يا سيد رويل أنه سيكون بمقدورك الحضور للعمل في فترة الصيف؟»

ورفع حاجبيه وكأنه لا يرى مجالاً لمثل هذا السؤال وردّ بالايجاب. وشعرت سامانتا بالارتياح فمهما كانت شخصية آدم فلا بدّ أنّ العم ادوارد لم يكن يختاره لادارة المدرسة لو لم يكن مناسباً للمنصب. وأنساها شعورها بالارتياح تحفظّها للحظة فاندفعت تقول:

«انني سعيدة لذلك. ستجد الجميع هنا أصدقاءك»

ولم يرد آدم على هذا التعليق، واكتفى بالنظر من النافذة ثم بدا عليه وكأنه قرر شيئاً،فاستدار بمقعده فجأة ليصبح في مواجهتها وقال:

«آنسة غولد أتريدين أن أوضح لك شيئاً منذ البداية، وهو أنني لست اجتماعياً، ولست على استعداد لاقامة علاقات شخصية مع اعضاء هيئة التدريس».

ونظرت سامانتا إليه في ذهول وهي تقول:

«ما الذي يجعلك تعتقد أن أحداً يريد أن يقيم معك علاقات شخصية؟»

«انه مجرد شيء يحدث دائماً، وخاصة اذا كان يوجد هذا العدد من النساء. وسأكون شاكراً لو أبلغت هذه الرغبة للجميع بطريقة لطيفة».

وابتسم بطريقة معيّنة وهو يقول:

«وأنا على يقين من أنه لا تنقصك اللباقة».

ونظرت إليه سامانتا في صمت تساءلت عما يدعوه الى هذا القول، فهو لا يبدو عليه أنه شخص غير اجتماعي، فإنّ نظرات عينيه والابتسامة التي تتراقص حول ركن فمه، لا تعطي هذا الانطباع ابداً.

وهزّت سامانتا رأسها في هدوء وهي تقول:

«ليس هذا من اختصاصي، ولكنني سأعمل على ألاّ يضايقك شيء».

ويبدو أنّ آدم أراد أن يخفف قليلاً من موقفه السابق فأردف قائلاً:

«في الحقيقة أنني أقوم في الوقت الحاضر بتأليف أحد الكتب، ويجب أن أنتهي منه قبل نهاية الشهر القادم».

«انني أقدّر ذلك».

ردّت سامانتا بطريقة مهذبة، وهي لا تدري ما إذا كان يتوقع منها أن تسأله عن هذا الكتاب. وانتظر آدم قليلاً ولما لم تقل شيئاً نهض واقفاً وهو يقول:

«الآن وقد انتهينا، أكون شاكراً لو شرحت لي كيف أذهب الى المستشفى. أريد أن أقابل الطبيب لأعرف منه المزيد عن حالة السيد بارنز».

«حقاً. هل ستفعل ذلك؟ فأنا لم أتمكّن من التحدّث مع الطبيب، ولكني أعتقد أنّ الأمر سيختلف بالنسبة إليك».

ونظر اليها آدم وهو يتساءل في سخرية:

«حقاً ما تقولين؟ ولكن لماذا؟»

وشعرت سامانتا أنه يحتويها بعينيه السوداوين، فاضطربت وهي تجيبه:

«أقصد أنك رجل، وسيهتمون بك أكثر مني».

وبدأت سامانتا تشعر بالخوف، وعينا آدم النافذتان تتفحصانها واندفع

الدم الى وجنتيها فخفضت عينيها، وبعد فترة من الصمت سمعت صوته يقول:
«آنسة غولد، اذا كنا سنعمل معاً، فأريدك أن تعرفي شيئاً هاماً عني وهو أنني لا أميل الى المجاملات النسائية».

ولم تدر سامانتا ما اذا كان آدم قد ابتسم وهو يقول ذلك فإنها لم تكن تنظر اليه.

٢ ـ عدوّ النساء

دخلت سامانتا الى المطبخ وكانت السيدة كمبل تعدّ الشاي، ونظرت سامانتا الى فطيرة الكرز التي برعت السيدة كمبل في اعدادها وهي تقول:
«انني أحظى دائما بنصيب الأسد من هذه الفطيرة اللذيذة في أيام العطلات، ولو أنه يجب أن أحافظ على رشاقتي.»

ونظرت السيدة كمبل الى قوام سامانتا النحيل بطريقة متفحصة وهي تقول:
«أعتقد أنه يجب أن تتوقفي عن اتباع الرجيم.»

وجلستا في صمت تتناولان الشاي. كانت السيدة كمبل من النوع العملي، الذي يتحدث قليلاً ونادراً ما تبتسم. وكانت سامانتا مشغولة الذهن بأشياء أخرى.

أنهت سامانتا التهام فطيرتها وشكرت السيدة كمبل التي أكتفت بالردّ عليها بايماءة من رأسها وقالت:
«أرجو يا آنسة غولد أن تتذكري احضار مفارش للشاي.»
«لقد طلبت ذلك بالفعل.»

وساد الصمت بينهما من جديد، ثم قطعته السيدة كمبل فجأة قائلة:
«ذلك الشاب الذي يدعى السيد...لا أعرف اسمه، هل سيحضر خلال الفترة

www.elromancia.com

الدراسية القادمة؟»

«تقصدين السيد رويل ، نعم وسيكون شيئا غريبا أن يحلّ مكان السيد بارنز.»

وردّت السيدة كمبل بدون أن تلتفت الى سامانتا:

«أعتقد أنه سيمكنه ذلك.»

وابتسمت سامانتا، فقد كانت تدرك مقدرة السيدة كمبل في الحكم الصحيح على الأشخاص.

وفي هذه اللحظة علا رنين الهاتف، فأسرعت سامانتا للرّد عليه في لهفة لم تعهدها في نفسها من قبل. وجاءها على الطرف الآخر صوت عرفته على الفور. كان صوت آدم رويل الذي لا يمكن أن تخطئه الأذن، فقد كان عميق النبرات ينمّ عن ثقة بالنفس وسمعته يقول:

«آنسة غولد أنا آدم رويل، ظننت أنك تريدين الاطمئنان على صحة السيد بارنز.»

واستطرد يقول:

«قابلت الطبيب وطمأنني على حالته، ربما لزم بعض الوقت للشفاء التام نظراً لخطورة الجراحة.»

وشكرته سامانتا في لهجة حاولت أن تخلو من أي انفعال وساد الصمت بينهما قليلاً ثم قال آدم:

«لم نتفق بعد على موعد حضوري الى المدرسة، متى يبدأ العمل؟»

«يوم الثلاثاء المقبل، وقد يعود المدرسون قبل ذلك.»

«حسناً، أود الحضور الى المدرسة قبل ذلك، اذا لم يكن هناك ما يمنع ما رأيك هل يناسبك يوم السبت؟»

وترددّت سامانتا قليلاً فقد انتابها شعور بالاضطراب، من احتمال وجودهما مع السيدة كمبل بمفردهم طوال فترة نهاية الأسبوع. وبدا وكأن آدم شعر

بهذا التردد اذ جاءها صوته يقول:

«اذا كان ذلك غير مناسب...»

ولكنها قاطعته بسرعة قائلة:

«لا بالطبع، سننتظرك يوم السبت المقبل وسيكون كل شيء معداً لحضورك.»

ثم سادت بينهما فترة أخرى من الصمت قطعها آدم وهو يقول:

«شكراً يا آنسة غولد والى اللقاء.»

ووضعت سامانتا السمّاعة وهي تفكّر في الحديث الذي جرى بينهما.

وفي اليوم التالي ذهبت لزيارة العم ادوارد ووقفت سامانتا الى جانب السرير الذي يرقد عليه رجل بدا وكأنه نائم، وامتلأت عيناها بالدموع. كان من الصعب أن تصدّق أن هذا الرجل الشاحب الذي يبدو عليه الأرهاق الشديد هو العم ادوارد المفعم بالنشاط وكانت الممرضة قد طلبت من سامانتا ألاّ تطيل في الزيارة. تردّدت في وقفتها فلم ترغب في ايقاظه، ولكن تردّدها لم يطل فقد فتح العم ادوارد عينيه في اعياء شديد وظهر الفرح فيهما عندما عرفها، وتبدّل وجهه سريعاً ليعود من جديد العم ادوارد الذي تعرفه.

وانحنت سامانتا وقبّلته وجذبت مقعداً حيث جلست بجوار السرير وقد أخذت يده الواهنة بين يديها في حنان وهي تقول:

«كيف الحال يا عم ادوارد؟ لن يسمحوا لي بالبقاء معك طويلاً.»

ولاحت ابتسامة على شفتيه وهو يقول بصوت ضعيف:

«انا بخير، سأخرج قريباً ، كل شيء على ما يرام؟»

وضغطت سامانتا على يده مطمئنة:

ولم يزد العم ادوارد على ذلك، بل أغمض عينيه في رضىً واطمئنان وظلت سامانتا في مكانها محتفظة بيده بين كلتا يديها الى أن طلبت منها الممرضة انهاء الزيارة.

وعادت سامانتا الى المدرسة وهي تشعر بقلق شديد. انها لم تكن تقدّر من

قبل مدى تعلقها بالعم ادوارد الذي احتلّ في نفسها مكانة والدها الذي كانت تحبّه الى درجة كبيرة. لقد توفي والدها فجأة وهي بعد في السابعة عشر من عمرها. وكانت لوفاته المفاجئة، صدمة كبيرة بالنسبة لها ولاختها ليزا التي حزنت لبعض الوقت، ثم عادت الى طبيعتها المرحة. وقد وافقت ليزا بعد ذلك على الذهاب مع أمها في العماد في رحلة الى اليونان حيث أقامت معها بعد ذلك بصفة دائمة.

أما سامانتا فقد أصرّ ادوارد بارنز الذي كان صديقاً قديماً لوالدها على أن تقيم معه. هو وزوجته العمة بيتي وطلب منها أن يحل مكان والدها الذي كان من المقرّر ان يشترك معه في مشروع اقامة المدرسة ولكن العمر لم يسعفه.

وبعد أن انهت سامانتا دراستها الثانوية، رفضت فكرة الذهاب الى الجامعة وفضّلت التدرب على أعمال السكرتارية. وتسلّمت بعد ذلك عملها كسكرتيرة في المدرسة، حيث كانت تفضّل البقاء مع العم ادوارد والعمة بيتي اللذين عوّضاها حنان والدها ولكن بدأت صحة العمة بيتي تتدهور شيئاً فشيئاً، فبدأت خدماتها لسامانتا تتناقص، فلم يبق لديها ما تمنحه سوى الحب والحنان، وهكذا مضت الأيام حتى أصبحت العمة بيتي لسامانتا الأم التي لا تتذكرها، ولكنها عندما توفيت منذ أربع سنوات حزنت عليها سامانتا حزناً شديداً. أما ليزا، فقد تزوّجت بعد ذلك بفترة وجيزة من روبرت فيلدنغ الواسع الثراء الذي كان يشغل منصباً مرموقاً في أحد مصانع السيارات، وأقامت في منزل جميل في احدى الضواحي الراقية القريبة.

في ذلك الوقت تقريباً عاد ريتشارد بارنز الذي يدرس في أوكسفورد، وكان يمضي عطلاته الصيفية دائماً في المدرسة، وحرص دائماً على أن يظهر لسامانتا خلال تلك الفترات القليلة، مدى اعتزازه بصداقتها وارتياحه لصحبتها، وكانت سامانتا تبادله نفس الشعور، فهي تشعر في صحبته بالأمان الذي افتقدته بوفاة والدها المفاجئة.

مضى أسبوع بعد مقابلتها لآدم رويل. وكان على سامانتا أن تقوم بالكثير من الواجبات مع بدء الدراسة، ومع اقتراب الموعد ازدادت أعبائها ورغم ذلك استطاعت أن تختطف بعض الوقت لتقوم بزيارتين للعم ادوارد، الذي بدا وكأنه يتماثل للشفاء ببطء شديد.

وفي الموعد المتفق عليه، وصل آدم رويل الى المدرسة، وكانت سامانتا تتفقد جناح العم ادوارد حيث سيقيم آدم، عندما أعلنت السيدة كمبل قدومه. وبطريقة لا شعورية وجدت سامانتا نفسها تنظر الى المرآة لتعدل من هيئتها. في هذه اللحظة إنتابها شعور بعدم الارتياح، وتمنّت لو أنها لم تر آدم رويل مرّة أخرى، وسمعت سامانتا صوت السيدة كمبل وهي تقول:

«معذرة يا سيدي، سأبلغ الآنسة غولد بحضورك».

وبعد أن القت نظرة أخيرة الى المرآة، اتجهت سامانتا صوب الباب وهي تعلن للسيدة كمبل حضورها. وتقدّمت الى آدم مرحبة وابتسمت وهي تقول:

«مساء الخير يا سيد رويل أرجو أن تكون بخير.»

ولم تمد سامانتا يدها لمصافحة آدم الذي مدّ اليها يده وصافحها، محتفظاً بيدها في يده لفترة أطول من المعتاد، وبعد أن ترك يدها قال مبتسماً:

«هذا تعويض لما حدث مني في المقابلة الماضية.»

وشعرت سامانتا باضطراب شديد، فقد فوجئت بهذه المقابلة الودّية من جانب آدم، ولزمها وقت طويل قبل أن تستعيد هدوءها وتردّ عليه قائلة:

«انني سعيدة لذلك، والآن أصحبك الى جناحك.»

وسألت السيدة كمبل:

«أين تودّ أن تأخذ عشاءك يا سيدي.»

«هذا لا يهم على الاطلاق، انني لا أريد أن أسبب لك المزيد من المتاعب، سأتناول العشاء في غرفة الطعام أرجو ألا يسبب وجودي المبكر أية متاعب اضافية.»

كانت السيدة كمبل تحدّق في آدم بوجهها الممتلىء، وقد اكتسى بتعبير غريب عرفت فيه سامانتا إحدى ابتساماتها النادرة.

وبعد أن ذهبت التفت آدم الى سامانتا وهو يرفع حاجبيه في دهشة وقال ساخراً:

«حقاً انّ تعبيرات وجهها غريبة، هل هي دائما هكذا؟»

فردّت سامانتا في لهجة حاولت أن تبدو باردة:

«انها تبتسم لك وهو شيء نادراً ما يحدث، يمكنك أن تعتبرها تحية خاصة.»

وسكتت قليلاً ثم قالت:

«إلا اذا كنت تريد أن تضم السيدة كمبل إلى قائمة النساء في المدرسة.»

وضحكت عينا آدم وهو يردّ على سامانتا قائلاً:

«هل أنت دائماً حسّاسة هكذا يا آنسة غولد.»

وشعرت سامانتا بأنها فشلت حتى الآن في محاولاتها لكي تسير الأمور بينها وبين آدم بطريقة مرضية فقالت معتذرة:

«معذرة، أحاول فقط ألاّ أنسى رغباتك، فإنني أريد التعاون معك بقدر الامكان إكراماً للعم ادوارد ولمصلحة المدرسة. ولكن يبدو أن الأمر سيكون من الصعوبة بمكان».

وردّ آدم قائلاً:

«ألا تبالغين في قولك قليلاً؟ إن ملاحظتي بالنسبة الى السيدة كمبل لم أقصد بها شيئاً. حقيقة أنا معجب بها، ولكن أليس من الأفضل الآن أن تتخلّي عن هذا الموقف المتزمّت، ونتحدث كآدميين».

ووقفت سامانتا في منتصف الغرفة تحدّق فيه بذهول، وقد شعرت أنّ جميع القرارات التي اتخذتها لتكون على علاقة طيبة بآدم قد انهارت فجأة، وردّت في انفعال شديد:

«أعتقد أنني إنسانة فعلاً، إنك أنت »

وردّ آدم قولها في سخرية وهو يقول:

«ردّ الفعل النسائي التقليدي.»

وانتاب سامانتا غضب مفاجىء وارتعشت ركبتاها وأخذ قلبها يدق بعنف وهي تقول:

«ان هذا شيء غير معقول على الاطلاق.»

ولدهشتها الشديدة مدّ آدم يده ليمسك برسغها بقوّة وهو يقول:

«المجادلات النسائية نفسها تعالي الآن يا آنسة غولد، إنني أشعر أن البداية كانت خاطئة، أرجو أن تهدأي قليلاً حتى يمكننا التحدث في هدوء».

قال آدم ذلك وهو يسحبها من رسغها لتجلس على الأريكة المجاورة للنافذة، وحاولت سامانتا أن تتخلّص من قبضة يد آدم القوية، ولكنها بدت وكأن الموقف قد خرج من يدها تماماً.

فجلست وجلس آدم الى جانبها وهو ما زال محتفظاً بقبضته على رسغها كأنها طفلة ثائرة يحول تهدئتها.

وفي هذه اللحظة انتاب سامانتا شعور بالخجل الشديد، لأن الموقف وصل بينهما الى هذا الحد. وشعرت بعيني آدم تتفحصان وجهها، ولكنها لم تستطع أن ترفع عينيها الى وجهه. كانت تشعر أن تصرّفها هوالذي أوقعها في هذا الموقف، وكان عليها منذ البداية أن تدرك أن آدم ليس من طراز الرجال الذي يمكن التعامل معه بسهولة. وأدركت في هذه اللحظة أن ليزا كانت على حق عندما وصفته بالقسوة.

وعندما بدأ آدم الحديث من جديد، بدا صوته هادئاً وهو يقول:

«والآن يا آنسة غولد، نريد أن نوضح بعض الأمور منذ البداية، عندما قابلتك لأول مرّة، كان انطباعي عنك أنك فتاة على جانب من الفطنة، ولعلّ هذا ما دفعني لأن أتبسّط معك في الحديث، ولكن لا داعي أبداً لأن تتمادي في مثل هذا الموقف الذي لا يمكن أن أقبله من أي شخص.»

واستطرد يقول:

«لقد أوضحت في أكثر من مناسبة أنك لا تميلين إليّ، ولكن لا داعي لأن تنتهزي الفرص لتؤكدي لي هذا الموقف. في الحقيقة أفضّل هذا الشعور من النساء اللواتي يعملن معي.»

وسكت قليلاً ثم قال:

«والآن هل أوضحت موقفي؟»

وشعرت سامانتا بدمائها تغلي في عروقها، ولكن كان عليها أن تحاول التعامل مع آدم بأي طريقة خلال الشهور القادمة، إكراماً للعم ادوارد. وعليها أن تكون على الأقل مهذبة معه.

ورفعت سامانتا عينيها فالتقتا بعيني آدم ومرّة أخرى إنتابها الشعور بالضعف الشديد ازاء نظراته النفاذة العجيبة.

وردّت في لهجة حاولت أن تخلو تماماً من أي تهكم:

«نعم يا سيد آدم أعتقد أن كل شيء واضح تماماً.»

وابتسم آدم وترك رسغها وهو يقول:

«حسناً، أعتقد أنّ الأمور ستمضي بيننا على ما يرام، والآن هل يمكنك أن ترشديني الى جناحي؟»

وصحبته سامانتا وهي تقول إن العشاء سيكون معدّاً في تمام السابعة وأشارت الى خزانة بالغرفة وهي تقول:

«ستجد هنا ما يلزمك من مشروبات».

واتجه آدم الى حيث أشارت سامانتا، وأخرج زجاجة وهو يقول:

«والآن فلنشرب نخب تسلّمي العمل.»

«شكراً يا سيد آدم، أعتقد أن الوقت ما زال مبكراً بالنسبة إليّ لتناول الشراب.»

ونظر آدم الى ساعته، ثم رفع عينيه ونظر اليها وابتسامته تتراقص على شفتيه ثم قال:

«حسناً، في أي حال لن اعتبر هذا موقفاً منك.»

وبعد تفكير قليل وجدت سامانتا أنه ليس من حقها التعامل معه بهذه الطريقة، فعادت الى الطاولة حيث أخذت الكأس التي ملأها، وقال آدم وهو يرفع كأسه وينظر في عينيها:

«نخب المزيد من التفاهم بيننا.»

وردّت سامنتا النخب بصوت خافت، واسرعت بشرب كأسها وغادرت الغرفة وهي تفكّر فيما حدث. كانت المرّة الأولى التي تفقد فيها سامانتا أعصابها، ولكنها تعتقد أن آدم من الطراز الاستفزازيّ من الرجال.

واتجهت سامانتا الى مكتبها، حيث حاولت الاتصال بليزا هاتفياً، ولمّا لم تتلقّ رداً صعدت الى غرفتها لتعدّل من منظرها قبل الجلوس الى العشاء. لم يكن من عادة سامانتا أن تبدّل ملابسها قبل العشاء في أوقات العطلات، إلا اذا حضر أحد الضيوف، ولكنّ الأمر يختلف الليلة مع وجود آدم رويل. وداخلها شعور بالتحدّي وهي تنتقي أجمل ثيابها، لا بدّ أن تبدو جذابة فان هذا الشعور سيمنحها الثقة في نفسها لمواجهة آدم. واطمأنت سامانتا الى مظهرها في المرآة قبل أن تغادر غرفتها وشعرت أنها على استعداد لمواجهة آدم وابتسامته الساحرة.

واتجهت سامانتا الى المطبخ. كانت رائحة الطعام اللذيذة تفوح منه وكانت السيدة كمبل تقف وقد ارتدت ثوباً وردي اللون، بدلاً من الثوب الأزرق الداكن الذي اعتادت ارتداءه، وأظهرت سامانتا للسيدة كمبل استحسانها لثوبها فردّت قائلة:

«إنه مجرّد تغيير.»

ثم انشغلت في اعداد الطعام وهي تسأل سامانتا عما اذا كانت ستقوم بابلاغ آدم بأن العشاء معد. وطلبت سامانتا منها أن تبلغه ذلك بنفسها. وعلى الرغم من أنه كان هناك اتصال بين المطبخ وجناح العم ادوارد، فانّ كمبل

فضلت الذهاب بنفسها قائلة:

«سأبلغه ذلك بنفسي فهذه هي المرة الأولى التي يبدو فيها لطيفاً.»

واتجهت سامانتا الى غرفة الطعام التي تطلّ على ملاعب التنس، كان المكان معدّاً لشخصين واطمأنت الى أن كل شيء في مكانه، وأخذت تتساءل ما اذا كان من الواجب تقديم الشراب لآدم على العشاء. في هذه اللحظة سمعت وقع أقدامه وهو يدخل الى الغرفة.

لاحظت سامانتا أنه بدّل ملابسه، وارتدى حلّة داكنة اللون مع رباط عنق زاهي، وبدا جذاباً للغاية. وقال آدم وهو يتجه اليها:

«تبدين كمضيفة، هل تنتظرين أحداً على العشاء؟»

وتحرّكت سامانتا الى الطاولة وهي تقول:

«لا يوجد غيرنا الليلة.»

ولم تدر ماذا تقول بعد ذلك، كانت تشعر بالتردّد في مواجهة آدم، فقد تعوّدت الصراحة في تعاملها مع الناس ولكنها شعرت أنّ الوضع يختلف مع آدم ثم قالت وهي تحاول أن تكون لطيفة:

«كنت أتساءل إذا كان من الواجب أن أقدّم لك الشراب؟»

وظهرت الدهشة على وجهه وبدا وكأنه يفكر وهو يلتفت اليها قائلاً:

«هذا شيء جميل، ويجب أن أعترف بذلك، ولكن ما هي المناسبات التقليدية في المدرسة لتقديم الشراب؟»

«أعياد الميلاد ورأس السنة، والمناسبات الخاصة.»

«حسناً، إنه ليس عيد ميلادي ولا أعتقد أيضاً أنه عيد ميلادك ولهذا اقترح اعتباراً من الليلة مناسبة خاصة اذا كنت تتفقين معي في ذلك.»

«هذا شيء عليك أنت أن تقرّره.»

«لا هذا من اختصاصك كسيدة.»

قال آدم ذلك ونظر اليها بطريقة عابثة، فشعرت بدقات قلبها تسرع

وبذلت جهداً كبيراً وهي تحاول إبعاد عينيها عن عينيه الآسرتين وقالت:

«أنا على يقين من أنّ العم ادوارد كان سيقدم لك الشراب طيلة بقائك في المدرسة.»

ورفع آدم حاجبيه في دهشة قائلاً:

«العم ادوارد! لم أكن أعرف أن هناك صلة قرابة بينكما.»

فردّت سامانتا بسرعة:

«لم أقصد ذلك تماماً، إنّ ادوارد بارنز كان صديقاً حميماً لوالدي الذي توفي فجأة منذ بضع سنوات.»

ولاحظت سامنتا لمحة من الحزن تكسو وجه آدم، فاستطردت تشرح له العلاقة بين العم ادوارد ووالدها.

وبعد فترة من الصمت هزّ آدم رأسه بأسف وهو يقول:

«اذكر أن السيد بارنز قصّ عليّ شيئاً من هذاالقبيل، إنه شخص عظيم.»

ولفهما الصمت من جديد، ونسيت سامانتا في هذه اللحظة تماماً وجود آدم، فقد كانت تسترجع صورة العم ادوارد وهوعلى سريره بالمستشفى.

وأخيراً قطع آدم الصمت وهو يقول:

«لقد سألت عنه في المستشفى ويبدو أنه في حالة جيدة.»

وأخذ آدم ينظر الى سامانتا بانتباه وهي تتحدّث عن العم ادوارد، وقد لمعت عيناها الزرقاوان وقال أخيراً:

«أعتقد أننا وجدنا مناسبة نحتفل بها معاً، فلنذهب الى العنبر لاحضار زجاجة.»

وذهبت معه سامانتا وفتحت االباب وأضاءت النور وهي تحذّره من درجات السلم المتآكلة. ونزل آدم أولاً وعندما وصل الى النهاية نظر الى أعلى وهو يقول:

«انتبهي الى هذا الحائط حتى لا يتسخ رداؤك الجميل!»

ما كاد آدم ينطق بذلك حتى زلّت قدم سامانتا، فمدّ آدم ذراعه

ليمسك بها بقوة، وشعرت للحظة بأنها ملتصقةلبه فأضطربت بشدّة ثم سمعته يسألها وهو يبعد ذراعه عنها:

«هل حدث شيء؟»

وردّت سامانتا بالنفي وبدأت تشعر ببرودة العنبر الذي كانت الظلال تخيّم على أركانه، وروعتها فكرة وجود جرذان فارتعشت، ولكنها حاولت التماسك وأشارت الى ركن مظلم كان العم ادوارد يحتفظ فيه بالشراب وقالت:

«أعتقد أن الضوء ليس كافياً ولن يمكنك قراءة ما كتب على الزجاجات، سأصعد لأحضر لك شعلة.»

ومدّ آدم اليها يده بعلبة الثقاب وتلامست أصابعهما للحظة وقال:

«يكفي أن تضيئي لي عوداً من الثقاب.»

وأضاءت سامانتا الثقاب وأدهشها أنّ عود الثقاب، كان يرتعش بشدّة في يدها وهي تقرّبه من آدم الذي أخذ يقرأ ما كتب على الزجاجات ثم قال:

«على فكرة، ماذا سنأكل على العشاء.»

«شرائح من اللحم وفطيرة بالكلاوي.»

واختار آدم إحدى الزجاجات وهو يقول:

«في هذه الحالة أعتقد أن هذا النوع مناسب.»

وانطفأ عود الثقاب فأشعلت سامانتا عوداً آخر، واقتربت من آدم الذي كان منحنياً يقرأ ما كتب على الزجاجة. كان رأسه قريباً منها الى الدرجة التي مكنتها أن تشمّ الرائحة المعطرة التي تنبعث من شعره الفاحم.

والتفت ناحيتها وهو يسألها، هل يعجبها هذا النوع من الشراب وظهرت عيناه في ضوء الثقاب وكأنهما بحيرتان لا قرار لهما، وشعرت سامانتا وكأنها تحلّق في عالم من الخيال وأخيراً تمكّنت من انتزاع نفسها من هذا الحلم الذي عاشت فيه لحظة، وهي تحاول اقناع نفسها بأن شيئاً لم يحدث.

وإختار آدم الزجاجة وضمها بين ذراعيه في اعتزاز وهما يصعدان معا

درجات السلم ليعودا الى غرفة الطعام. وغمر سامانتا وهي تنظف الزجاجة من الأتربة العالقة بها، شعور بالمرح، فقد كانت تشعر وكأن هذا العشاء الخاص، ما هو إلاّ موعد رتّب له من قبل، ونظر اليها آدم وهو يفتح زجاجة الشراب بطريقة لطيفة:

«أرجوك لا تعتقدي أنني عدوّ للنساء، كل ما أردت أن أوضحه هو أنني أفضّل ألاّ أعمل مع النساء. ولكننا الآن لا نعمل، أليس كذلك؟»

والتفت نظراتهما ولفهما الصمت عندما دخلت السيدة كمبل فجأة بطعام العشاء، ونظر آدم الى الفطائر وهو يقول موجهاً كلامه الى السيدة كمبل:

«أرى أنك طاهية ماهرة.»

فهمهمت السيدة كمبل ببضع كلمات واصطبغ وجههابالون الأحمر. وبعد أن وضعت الأطباق على المائدة، هرولت مسرعة خارج الغرفة. في هذه اللحظة تذكّرت سامانتا وصف ليزا لآدم بأنه شخص لا يقاوم. إنه فعلاً كذلك فقد ظهر تأثير آدم واضحاً على السيدة كمبل، ووجدت سامانتا نفسها تفعل شيئاً بنفس الطريقة التي تعوّدتها وهي طفلة عندما كانت ترجو أن تبعد عن نفسهاأذى معيناً، فعقدت أصابعها وراء ظهرها وهي تجلس أمام آدم لتناول العشاء.

٣ ـ مشاعر غريبة

جلست سامانتا و آدم يتناولان العشاء، وقال آدم وهو يلتهم الطعام بشهيّة:

«إنّ الشخص الأعزب هو وحده الذي يدرك مدى جودة الطعام المنزلي».

وسألته سامانتا عن مكان اقامته وهي تأمل ألاّ يكون سؤالها شخصياً فأجاب آدم:

«ليس بعيداً عن المدرسة، إنني أقيم في كوخ صغير في كوستولدز».

ثم استطرد يقول:

«لقد تركته لفترة، خلال وجودي في باريس، حيث كنت أقوم بأبحاث خاصة بالكتاب الذي أقوم بتأليفه».

وسألته سامانتا عن موضوع الكتاب بعد أن بدا الودّ واضحاً بينهما.

كما بدا على آدم وكأنه أعجبه تجاوبها معه فردّ قائلاً:

«الموضوع قد لا يعجبك، انه عن التعليم».

كانت سامانتا بالفعل لا تهتم كثيراً بهذا الموضوع، ولكنها ردّت بأدب:

«لا بدّ أنه موضوع مسلّ».

«إنه كذلك بالنسبة إليّ فأنا اهتمّ دائماً بالبحث عن نشأة الأشياء، وهذا ما يتناوله كتابي، إذ يدور حول نشأة التعليم في أوروبا».

انتبهت سامانتا الى حديثه فقد كانت تهتم بالتاريخ، وتواصل الحديث بطريقة طبيعية، وانطلقت سامانتا تتحدّث على سجيتها ولم تكن تدري هل كان ذلك بسبب الشراب أو لأنّ الموضوع أعجبها.

وبدا آدم وكأنه يشعر بالراحة، وكانت عيناه تبرقان تحت رموشه الكثيفة، وتذكرت سامانتا في هذه اللحظة ما قالته ليزا في احدى المرّات من أنّ إتاحة الفرصة للرجل ليتحدث في الموضوع الذي يفضله، هي إحدى وسائل التقرّب اليه. إن ليزا دائماً تهتم بالحديث عن العلاقة بين الجنسين، وكانت دائماً ومنذ صغرها جديرة بهذه الأمور، ولم تكن سامانتا تودّ التقرب الى آدم، ولكنها كانت تريد أن تقيم معه علاقات طيبه لمصلحة العمل.

واستطردت سامانتا تسأل:

«هل تسمح لي بقراءة بعض ما كتبت، إلاّ اذا كنت تكتب لمتخصصين فقط».

«بالطبع لا. إنّ هدفي هو اتاحة فرصة المعرفة للجميع، وكم أود أن أجرّب مدى نجاحي في ذلك معك يا سامانتا».

اهتزّت سامانتا قليلاً لدى سماعها آدم، وهو ينطق باسمها مجرّداً لأول مرة. وفي هذه اللحظة دخلت السيدة كمبل الغرفة وبدأت في رفع بقايا الطعام وبعد أن شكرها آدم استدار الى سامانتا مستأذناً في الانصراف ليرتّب أمتعته.

وقالت وهي تودعه:

«لقد أسعدني حديثك عن الامبراطور شارلمان، وأنا على يقين من أن كتابك سيكون رائعاً».

ونظر اليها آدم بطريقة ذكّرتها بما قاله من قبل، من أنه لا يحب المجاملات النسائية. وحاولت أن تقول شيئاً آخر ولكن الكلام لم يسعفها فسكتت وودّعت آدم على أن يلتقيا في الصباح.

واتجهت سامانتا الى غرفتها وقد اقتنعت تماماً بأن آدم ذو شخصية

مزدوجة فقد كانت شخصية آدم الذي جلس يتجاذب معها أطراف الحديث في ودّ على العشاء، غير شخصية آدم الأخرى التي تتسم بالبرود أحياناً الى درجة الوقاحة.

وفي الصباح رافقت سامانتا آدم في جولة بأنحاء المدرسة، ولاحظت أنه دقيق جداً في محاولته معرفة كل التفصيلات، وبدا لها بالفعل بمظهر المدير الشاب.

وبعد الانتهاء من هذه الجولة وقفا معاً في الشرفة الملحقة بغرفة المدرّسين وقالت سامانتا وهي تشير الى ملاعب التنس:

«سيتمّ قريباً إعداد هذه الملاعب، لقد كانت السيدة بارنز تقيم أحياناً مباريات للتنس في أيام العطلات».

قالت سامانتا ذلك ونظرت الى وجه آدم، لترى ما إذا كان يذكر تلك المباراة التي حضرها منذ أربع سنوات، وقد تأكّد لها ذلك بالفعل، فقد اكتسى وجهه بجمود مفاجيء، لا يمكن تجاهله وقال:

«دعينا ندخل الآن فأنا أريد معرفة المزيد عن الجداول».

وقاطعته سامانتا لأنها كانت تعرف أنهما لم يبحثا هذا الموضوع من قبل، ولكنه لم يستمع اليها فقد اندفع الى داخل الغرفة. وهزّت سامانتا كتفيها وتبعته الى الداخل.

حان وقت الغداء وتناولاه معاً في المكتبة وكان أشبه بغداء عمل، فقد عكف آدم على دراسة الأوراق التي أمامه وبدا وجهه مقطباً وهو منكب على المكتب. واستجمعت سامانتا شجاعتها وقاطعته قائلة:

«سيد رويل».

ورفع آدم رأسه بدون أن تفارق وجهه التقطيبية واستمرّت تقول:

«آسفة لمقاطعتي. ولكنني أنوي الذهاب الى المستشفى بعد الظهر ولا أدري...»

ولم يدعها تكمل حديثها اذ ردّ عليها فوراً.

«حسناً يمكنك الذهاب».

ونظر الى ساعته وقال:

«لماذا لم تخبريني من قبل، هل لديك سيارة؟»

«نعم لديّ سيارة صغيرة».

«حسناً اذهبي الآن، وأمل أن تكون صحته قد تحسنت».

واستطرد وهي تتّجه الى الباب كأنما تذكر شيئاً:

« سامانتا».

واستدارت اليه بسرعة وقد انتابها الشعور الغريب، الذي ساورها من قبل عندما ناداها باسمها وقالت:

«نعم يا سيد رويل».

«أرجو أن تعرفي منه اذا كان بامكانه رؤيتي».

ومضت سامانتا بسيارتها في طرقات البلدة التي تحفّ بها الأشجار، وقد بدأت الخضرة تكسوها مع قدوم الربيع، ووجدت نفسها تفكّر في آدم رويل لقد بدا لطيفاً وهو يتحدّث عن العم ادوارد، لا يمكن أن يكون مثل هذا الشخص عديم المشاعر كما وصفته ليزا، لا بدّ أن هناك حلقة مفقودة في قصة ليزا عليها أن تبحث عنها.

كان المستشفى مزدحما بزوار يوم الأحد، وكانت أشعة الشمس تدخل من نافذة العنبر الذي يقيم فيه العم ادوارد، الذي رفع لها يده بالتحيّة عندما رآها تدخل. ووضعت سامانتا زهور النرجس التي جمعتها من الحديقة على عجل وقالت وهي تقبله:

«إنك تبدو في أحسن حال الآن».

قال وهو ممسك بيدها بين يديه:

«انني أشعر بتحسن لأنني رأيتك».

كان صوته ما زال واهناً ولكن البريق عاد الى نظراته، وابتسمت له سامانتا من بين دموعها.

«لقد كانت تجربة صعبة، ولكن شكراً لله انتهت على خير».

ثم استطردت وهي تفتح حقيبتها:

«لديّ مفاجأة سارّة لك، رسالة من ريتشارد وصلت أمس».

ورفع اليها عينين متسائلتين ولكنها ردّت على الفور:

«لا يا عزيزي، انه لم يعرف شيئاً عن مرضك إنني عند وعدي لك».

ربت على يدها بامتنان. وفضّت سامانتا المغلف وكان بداخله رسالتان احداهما للعم ادوارد، والأخرى لها وضعتها في جيبها وهي تقول:

«سأقرأها فيما بعد»

وأخذت سامانتا تقرأ رسالة العم ادوارد بصوت مرتفع. وبعد أن انتهت أعادت وضعها في المغلف وهي تقول:

«حسناً إنه على ما يرام».

وبعد أن تحدّثا فترة عن ريتشارد سألها العم ادوارد:

«والآن ماذا عنك، متى يحضر آدم رويل؟»

«لقد وصل بالفعل أمس».

«حقاً، إنني أعرف انه يحب دراسة كل شيء بعناية لأنه دقيق في عمله».

«هذا صحيح».

وأضافت سامانتا وهي تبتسم:

«وعندما تعود الى المدرسة لن تجد سامانتا التي تعرفها».

وظهر القلق على وجه العم ادوارد وهو يقول:

«لن يحدث هذا، هل تعتقدين أنه سيمكنك التعاون معه يا عزيزتي؟»

«بالطبع يمكنني ذلك، ولو أن شخصيته تبدو غامضة».

وسكتت برهة ثم سألت:

«هل هو عدّو للنساء».

وابتسم العم ادوارد وهو يقول:

« آدم رويل عدو للنساء! انه على العكس من ذلك تماماً، ما الذي يجعلك تقولين ذلك».

«لقد أبلغني أنه لا يحبّ التعامل مع النساء».

«هل قال آدم ذلك، لا أعتقد أنه يعني ما يقول، ربما كان ذلك مجرّد إجراء يحمي به نفسه، فهو محبوب من النساء وأذكر تماماً أيام كنّا معاً في الجامعة أن الفتيات كنّ يحمن حوله مثل الفراشات حول ضوء الشمعة . طلبت منه مراراً أن يتزوج وكان يرد بأنه سيفعل ذلك عندما يجد الفتاة المناسبة».

وأعقبت ذلك فترة من الصمت قطعتها سامانتا بقولها:

«دعنا الآن من آدم رويل ولنتحدّث عنك».

وأخذا يتحدثان لبعض الوقت، ولاحظت سامانتا مظاهر الارهاق وقد بدت واضحة على وجهه فوقفت وهي تقول:

«سأذهب الآن فقد أرهقتك بحديثي، لقد أبلغني آدم برغبته في الحضور لزيارتك، هل توافق؟»

وردّ العم ادوارد في صوت خافت بالايجاب.

وقفت سامانتا للحظة تنظر اليه. قد بدا لها عجوزاً وعلا وجهه الشحوب، ولم يكن قد بلغ الخمسين بعد.

وابتلعت سامانتا دموعها وهي تنحني عليه تقبّله مودّعة.

وعندما دلفت الى سيارتها فتحت رسالة ريتشارد وأخذت تقرأها، وهي تسترجع صورته بقامته الممشوقة النحيلة، وعينيه الرماديتين وحبّه للمرح».

كانت رسالة قصيرة عرفت منها أن ريتشارد غير متحمّس للعودة الى التدريس. ووضعت سامانتا الرسالة في جيبها وهي تبتسم.ان رسالة ريتشارد تعكس شخصيته الهادئة المتّزنة المفعمة بالمشاعر الانسانية. كانت متعلّقة بريتشارد الى درجة كبيرة فهو من الطراز الذي يمكن الوقوع في حبّه سريعاً، ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل هل تحبّه حقاً؟

وجلست سامانتا ويدها على مفتاح السيارة وهي تفكّر، ثم هزّت رأسها في حيرة وأدارت المفتاح وخرجت من المستشفى.

كانت سامانتا تريد أن تمرّ بمنزل ليزا في طريق عودتها الى المدرسة، ولم يكن منزلها في تلك الطريق فقد كان يبعد بضعة أميال عن البلدة، ولكنها كانت تريد الاطمئنان عليها، خاصة وأنها أقسمت ألاّ تحضر الى المدرسة خلال فترة وجود آدم بها.

كانت سامانتا تعتقد أن ليزا تبالغ كثيراً بالنسبة الى موقفها من آدم، خاصه وأن المسألة لم تكن متعلّقة بها هي شخصياً. ولكنها سرعان ما استعادت في ذهنها صورة أختها، وقد اكتسى وجهها الجميل بهذا التعبير الفظيع عندما نطقت أمامها باسم آدم رويل. كما أن سامانتا لم تنس أيضاً التعبير الذي ارتسم على وجه آدم عندما خلط بينها وبين ليزا.

كان منزل ليزا يقع في ضاحية جميلة راقية تكتنفها الأشجار من كل جانب. ووقفت سامانتا أمام الباب الأمامي للمنزل الأنيق الذي تقيم به أختها، وقرعت جرس الباب، ولمّا لم تتلقّ ردّاً فقد اتجهت الى الحديقة الخلفية، حيث وجدت ليزا وزوجها يجلسان متلاصقين في استراخاء تام. نظرت سامانتا اليهما وهي تحدّث نفسها بأنه شيء جميل حقاً أن يجلسا على هذه الصورة بعد ثلاث سنوات من الزواج.

وانتابها في هذه اللحظة شعور أشبه بالغيرة.

واتجهت سامانتا ناحيتهما ولكنها توقّفت في ارتباك شديد، فقد إكتشفت أنّ الرجل الذي يجلس الى جانب ليزا واضعاً ذراعه حول كتفيها، لم يكن زوجها

وفوجئت ليزا بوجود أختها، ولكنها تمالكت نفسها سريعاً وقفزت واقفة وأخذت سامانتا بين ذراعيها في سرور واضح وهتفت:

« سام يا لها من مفاجأة جميلة، ولكن لماذا لم تبلغيني بمجيئك، لقد انتهينا أنا وروي للتوّ من تناول الشاي. تعالي واجلسي معنا».

وقدّمت ليزا الرجل الى أختها قائلة:

« سامانتا، روي مانرز صديق روبرت. لقد حضر لرؤيته ولكنه للأسف سافر روبرت الى ألمانيا، بمجرّد عودته من مانشستر وشعرت بالملل الفظيع وتمكّنت بعد جهد من اقناع روي بالبقاء معي لتناول الشاي».

ثم قدّمت ليزا سامانتا الى روي الذي مدّ اليها يده مرحّباً. وهمهمت سامانتا ببعض الكلمات ردّاً على مجاملته التي وجهّها اليها، وحاولت أن تبدو طبيعية بقدر الامكان ثم قالت ليزا بمرح:

«تعالي يا سام سأعدّ لك بعض الشاي».

وجلست سامانتا، وسحب روي مقعده وهو يجلس ليبعده قليلاً عن مقعد ليزا وردّت سامانتا بسرعة:

«لا شكراً يا ليزا، لن يمكنني البقاء طويلاً فقد كنت في طريقي من المستشفى وأردت الاطمئنان عليك، حاولت الاتصال بك هاتفياً مرّتين ولكنني لم أتلق رداً».

وردّت ليزا وهي ترفع فناجين الشاي:

«ربما كنت بالخارج، وكيف وجدت الرجل المسن؟»

«تقصدين العم ادوارد؟»

قالت سامانتا ذلك في لهجة جافة، وكانت تشعر بالاستياء من موقف أختها، حقاً لكلّ منهما طريقتها الخاصة في الحياة وفي التعامل مع الناس، ولكنها شعرت أنّ الهوّة تزداد اتساعاً بينهما وأجابت ليزا في تهكم:

«نعم عزيزي العم ادوارد».

ثم نظرت الى روي قائلة:

«أختي سام تعمل في مدرسة اعدادية، ومديرها موجود حالياً بالمستشفى».

وردت سامانتا:

«لقد تحسّنت صحته قليلاً ولكنه يبدو في حالة شديدة من الاعياء، والآن يجب أن أذهب فوراً فلديّ الكثير لأفعله. وقد حضر المدير الجديد».

وسألت ليزا في لهجة باردة الى حدّ ما:

«هل حضر حقاً، وكيف وجدته؟»

«لم أتمكن بعد من معرفته».

ودّعت سامانتا أختها ورفضت أن تسمح لها بتوصيلها الى السيارة. فلم تشعر برغبة في الانفراد بها هذه اللحظة بالذات، لقد أبلغتها بحضور آدم وهذا هو المهم.

وانتاب سامانتا وهي تقود سيارتها عائدة الى المدرسة شعور بالقلق الشديد تجاه ليزا. حقاً إنها حرّة في تصرفاتها الشخصية، ولكنها كانت تأمل أن تدرك أختها مدى خطورة هذه التصرفات. فهي تعرف تماماً أن زوجها روبرت أبعد ما يكون عن التساهل بالنسبة إلى سلوك زوجته. لا بد أن تكون ليزا غبيّة حين تجازف بحياتها بهذه الطريقة.

وتنهّدت سامانتا وهي تحاول اقناع نفسها، بأنها ربما تكون متحفّظة أكثر من اللازم، وحاولت التخلّص من أفكارها والتركيز على قيادة السيارة. وعند عودتها الى المدرسة، كان أول من رأت كريستين فيليبس المشرفة الصحية بالمدرسة، وقد عادت من العطلة لتوّها وكانت تصطحب ابنها الصغير جيمس، الذي التحق بالمدرسة لأول مرة في الخريف السابق. ورحبّت سامانتا بهما وداعبت جيمس قائلة:

«لم يحضر أحد من أصدقائك بعد يا جيمس، ستمرح كما تشاء بمفردك».

ونظر جيمس الى أمه ثم الى سامانتا متسائلاً:

«وهل يمكنني الدخول الى المعمل؟»

«ليس هناك ما يمنع اذا وافقت والدتك».

قالت سامانتا ذلك ونظرت الى أمه تسألها:

«هل يمكنه ذلك يا كريستين؟»

وردّت كريستين قائلة:

«ان جيمس تلقّى هدية في عيد ميلاده عبارة عن بعض الأدوات الخاصة بالعمل، ومنذ ذلك الوقت وهو متشوّق الى رؤية المعمل ودراسة العلوم».

وربتت على رأس جيمس بحنان وهي تقول:

«نعم يمكنك أن تذهب بعد أن تعدني بألاّ تلمس شيئاً هناك».

وبعد ذهابه التفتت كريستين الى سامانتا، وأخذت تسألها عن الأحوال في المدرسة. فاصطحبتها سامانتا الى غرفة المكتب وأخذت تقصّ عليها الأحداث التي وقعت أثناء العطلة المدرسية، وقالت كريستين وقد ظهر الأسف واضحاً على وجهها بعد معرفتها بمرض العم ادوارد:

«كنت أشعر في الفترة الأخيرة، أنّ صحته ليست على ما يرام».

«في أي حال زال الخطر على ما أعتقد».

«وماذا عن المدير الجديد المنتدب هل تعتقدين أنه الرجل المناسب».

ولوت سامانتا شفتيها وهي تقول:

«بودّي لو أعرف ذلك، ان العم ادوارد يقدّره كثيراً، انه يبدو دقيقاً في عمله. كما أنه ذكي جداً ولكنه ليس كما توقعت. فهو أصغر كثيراً مما كنت أعتقد».

واستطردت سامانتا رداً على تساؤلات كريستين:

«على الرغم من أن ثقافته أكاديمية إلاّ انه يبدو على العكس من ذلك».

وسكتت للحظة قبل ان تستطرد قائلة:

«هناك شيء آخر. لقد طلب منّي أن أبلغ الجميع بلباقة، أنه حضر الى هنا بغرض العمل فقط وليس لاقامة علاقات شخصية مع المدرّسين».

وشهقت كريستين وهي تقول:

«يا الهي، هل هذا الرجل انسان؟»

«أعتقد... أنه انسان».

قالت سامانتا ذلك وهي تسترجع في ذهنها نظرات آدم إليها ولمسة يده لذراعها عندما كادت تسقط في القبو وأضافت سامانتا:

«إنه يفسرّ هذا الموقف الغريب بانشغاله في تأليف أحد الكتب، وليس لديه وقت لمثل هذه العلاقات الاجتماعية».

وبدا الاهتمام على كريستين واستطردت سامانتا:

«لم يقل لي ذلك بنفسه ولكنّ العم ادوارد أخبرني بذلك، عندما قمت بزيارته في المستشفى. وفهمت أيضاً أن آدم رويل يتمتّع بجاذبية خاصة عند النساء، فالفتيات يحمن حوله مثل الفراشات حول ضوء الشمعة».

ولوت كريستين شفتيها في استياء وهي تقول:

«يبدو لي أنه شخص مغرور، لماذا يعتقد أننا جميعاً سنقع تحت سحره، لا أعتقد أن أحداً هنا سيحوم حوله».

وردّت سامانتا في لهجة بدت جادّة جداً:

«ولكن لا يمكن أن تتأكدي من ذلك، إذ يبدو أن السيدة كمبل قد أخذت بسحره بالفعل، فقد ارتدت أحسن ثيابها وهي تقدّم له العشاء أمس».

وانفجرت الاثنتان في الضحك وقالت كريستين مازحة:

«يجب أن تكوني على حذر، فسيكون عليك تقديم كشف حساب بتصرفاتك الى ريتشارد عند عودته، اما بالنسبة إليّ...».

وتوقفت كريستين قليلاً ثم قالت وقد اندفع الدم فجأة الى وجنتيها:

«عندي أخبار مدهشة لك يا سامانتا، لقد قررت الزواج مرّة أخرى».

واندفعت سامانتا تهنىء كريستين في مرح بالغ، وأخذت تسألها عن تفاصيل هذه المسألة فأجابتها كريستين:

«إنه مهندس يدعى هيغ غاريت يعمل في برمنغهام وقد توفيت زوجته منذ ست سنوات ولديه ولدان يكبران جيمس قليلاً. وكانت شقيقته تقيم معه للعناية بهم ولكنها ستتزوج قريباً».

وسألتها سامانتا عن موقف جيمس فأجابت بأنه لا يبدو سعيداً بهذه الفكرة. وسألت سامانتا:

«ومتى تنوين الزواج؟»

فردّت كريستين وقد انتابها شعور بتأنيب الضمير:

«ربما يكون ذلك في شهر حزيران المقبل. هل يمكنك أن تجدي أحداً ليحلّ مكاني؟ خاصة في هذه الظروف التي تمر بها المدرسة».

وشعرت سامانتا باليأس، فالعم ادوارد بالمستشفى وها هي كريستين، تعتزم الذهاب أيضاً ولكنها قالت:

«بالطبع يمكنك مغادرة المدرسة في أي وقت، ولكن هل يمكنك الاستمرار في العمل الى ان أجد من يحلّ مكانك، وسأبدأ فوراً في البحث عن شخص آخر وأترك للسيد رويل مذكّرة بذلك... في أي حال أنا سعيدة جداً بهذه الأخبار».

وبعد مغادرة كريستين للغرفة جلست سامانتا تكتب المذكرة، وإتجهت الى المكتبة بعد ذلك تضعها على مكتب المدير. وبينما هي تضعها لمحت مغلفاً معنوناً باسمها، أخذته سامانتا ووجدت به ورقة صغيرة يبلغها فيها آدم، بأنه اضطر للعودة الى كوخه الصغير لاحضار بعض الأوراق التي تلزمه في أبحاثه، وانه سيعود في الصباح الباكر.

ونظرت سامانتا الى خط آدم. كان خطّة يعبّر تماماً عن شخصيته التي تتفجر بالرجولة والثقة بالنفس.

وتركت سامانتا الغرفة وفي طريق عودتها الى مكتبها كوّرت الورقة في يدها وقذفت بها في سلة المهملات، ولكن لدهشتها ولسبب لا تعرفه، وجدت سامانتا نفسها تعود لتبحث عن الورقة وتحاول ان تفرد ثنياتها من جديد لتضعها بعناية شديدة في جيب سترتها!

٤ ـ حادثة قرب الكوخ

بدأت الحياة تدبّ من جديد في المدرسة صباح يوم الاثنين، وبدت السيدة كمبل منهمكة تماماً وهي تقوم بالاشراف على عملية التنظيف. وفي الساعة العاشرة والنصف كانت سامانتا تجلس في المكتبة، عندما وصلت الآنسة بيلي والسيد جونز معاً في سيارة أجرة. وأخذت سامانتا تراقبهما من النافذة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة. كان السيد جونز طويل القامة الى درجة كبيرة، وكان منظره طريفاً وهو ينحني بشدّة صوب راحة يده ليحصي النقود، قبل اعطائها للسائق نظراً لقصر نظره. أما الآنسة بيلي فكانت دقيقة الحجم مجعدة الشعر وكانت تدفع برأسها من أونة لأخرى داخل السيارة لاحضار متاعها.

وغادرت سامانتا المكتبة وذهبت للترحيب بهما، وكان السيد جونز يعطي النقود للسائق عندما اندفعت الآنسة بيلي تقول:

«لا يا سيد جونز، يجب أن أدفع نصيبي من الأجرة».

وأخذت سامانتا تنظر الى هذا المشهد الطريف، فقد كانت الآنسة بيلي تحاول بطريقة عصبية، دفع قطعة من النقود في يد السيد جونز، وأخيراً انتهى

المشهد وقالت الآنسة بيلي وهي تدلف من باب المدرسة:

«وأنت يا آنسة غولد كيف حالك، وكيف حال كل شيء في هذا المكان العزيز؟»

وأخذت الآنسة بيلي، تنظر باعزاز إلى مبنى المدرسة القديم، فقد التحقت بالعمل بالمدرسة منذ أنشأها العم ادوارد. وبينما تمّ وضع الأمتعة في البهو، أبلغتهما سامانتا بمرض العم ادوارد وحضور أدم ليحلّ مكانه.

وظهر الاستياء واضحاً على وجه الآنسة بيلي وهي تقول:

«شخص غريب هنا في المدرسة، مسكين السيد بارنز».

وسكتت لحظة ثم سألت:

«هل هو شخص لطيف، ومتى يمكننا رؤيته».

وانتبهت سامانتا الى حقيقة هامة، فقد اعتاد العم ادوارد دعوة المدرسين الى تناول القهوة والفطائر مساء اليوم السابق على بدء الدراسة. ولكنّها لا تعرف موقف أدم من هذه المسألة، وربما كان من الأفضل أن تسأله بمجرد عودته.

وفي هذه اللحظة سمع في الخارج صوت محرك يزمجر بطريقة صاخبة، ونظر الجميع عبر الباب لير والدراجة بخارية ضخمة تسير على الممر لتقف أمام الباب. وهتفت الآنسة بيلي:

«يا إلهي، انها الآنسة ترامب».

وهبطت الآنسة ترامب من فوق الدراجة، وكانت ترتدي قلنسوة ورفعت يدها تحيّي الجميع في بشاشة، وارتفع صوتها الأجش وهي تقول مشيرة الى دراجتها:

«كيف حالكم جميعاً وما رأيكم في كنزي الجديد، أليست جميلة؟»

وهمهم السيد جونز ببعض الكلمات ودلف الى المبنى، فقد كان من الطراز الهادىء الذي لا تعجبه شخصية الآنسة ترامب القوية».

واقتربت الآنسة ترامب من الباب وهي تنزع القلنسوة، وقد بدا شعرها قصيراً فاتح اللون وقالت مرحّبة:

«أهلاً يا أليسون، أهلاً سامانتا، هل حضر أحد من الأطفال بعد؟»

وأخذت تسأل فوراً عن أخبار المدرسة، واندفعت الآنسة بيلي تقصّ عليها التطورات التي حدثت وهي تقول:

«أوه يا سيسيلي، تصوّري لقد حضر الى المدرسة مدير جديد، مسكين السيد بارنز إنه في المستشفى».

واتسعت عينا الآنسة ترامب قليلاً وهي تقول في لهجة دارجة كانت تستخدمها كثيراً:

«يا للهول إنه لتغيير كبير حقاً».

ووضعت الآنسة بيلي يدها في ذراع الآنسة ترامب، وصعدت معها إلى غرفتها لتقص عليها تفصيلات ما حدث.

وأخذت سامانتا تراقبهما، وهما تصعدان درجات السلم وتتحدثان. يا لها من نقيضين الآنسة بيلي بصوتها الرقيق، والآنسة ترامب بصوتها القوي الأجش. ولم تستطع سامانتا أن تمنع نفسها من التساؤل عما سيكون موقف آدم رويل منهما. كانت سامانتا تحب الآنسة ترامب والآنسة بيلي، والجميع في المدرسة كما سبق أن قالت لآدم، يشكّلون مجموعة متفاهمة تماماً، وشعرت بالقلق فقد تعوّد الجميع أن يشركوا العم ادوارد في مشاكلهم الصغيرة، الذي كان دائماً متفهّماً لها، ولكنها لا تعتقد أن آدم رويل سيظهر مثل هذا التفهم. وتنهّدت سامانتا وهي تتجّه الى حجرتها وتمنّت لو أن شيئاً من هذا لم يحدث.

وبعد حوالي نصف الساعة عاد آدم الى المدرسة، وكانت بصحبته فتاة ودخلا الى الحجرة حيث تجلس سامانتا، وقال آدم:

«أهلاً سامانتا، هل كل شيء على ما يرام؟ لقد اصطحبت صديقة معي.»

وقال متلفتاً الى الفتاة التي كانت تقف الى جواره:

«أقدّم لك سامانتا غولد سكرتيرة المدرسة».

ثم استطرد مشيراً الى الفتاة:

«وهذه استيل نورتون هل يمكننا دعوتها الى الغداء؟»

وردّت سامانتا بصوت خافت وهي تمدّ يدها الى الفتاة مرحّبة:

«بالطبع، أهلاً آنسة نورتون».

كانت الفتاة ممشوقة القوام ذات شعر باهت اللون، رقيقة الى درجة كبيرة وترتدي نظارة داكنة ورداء من التويد الأزرق الفاتح. ونظرت الفتاة الى سامانتا بدون اهتمام وهي تتجه الى النافذة وقالت:

«لا تهتم بي كثيراً يا آدم، اذا كان لديك ما يشغلك يمكنني الاعتماد على نفسي».

ونظر اليها آدم وقد رفع حاجبيه قليلاً كما لو كان كلامها قد أعجبه ثم التفت الى سامانتا قائلاً:

«هل هناك شيء عاجل، وما الأخبار في المدرسة؟»

«لقد عاد جميع المدرّسين الذين يقيمون بالمدرسة».

واستطردت تقصّ عليه الأخبار الأخرى، ثم توقفت لحظة وقد بدا عليها التردد ثم بدا وكأنها قد اتخذت قراراً فقالت:

«لقد اعتاد السيد بارنز أن يجتمع بالمدرسين في مثل هذا اليوم، لتبادل الرأي قبل بدء الدراسة ولا أدري اذا كنت، ظننت أنك ربما لا...»

وسكتت سامانتا فردّ آدم قائلاً وهو يبتسم:

«أنت على حق، إنني لا أعترض على هذه الفكرة، وربما كانت فرصة أيضاً لاذابة الجليد بيننا ورؤية الجميع. ولكن هل يمكن اعداد اللازم للاجتماع؟»

«بالطبع فان السيدة كمبل تعوّدت إعداد عدد كاف من الفطائر دائماً في مثل هذا اليوم».

«حسناً لا يمكن أن نغضب السيدة كمبل أليس كذلك، سأكون كبش الفداء هذا المساء».

والتفت اليها بنظرة جانبية من عينيه الداكنتين ثم قال لها:

«سأعتمد عليك لمساعدتي في هذا الموقف إذا إقتضى الأمر، إنّ هذا واجب الزوجة الذكية، أو السكرتيرة الذكية.»

قال آدم ذلك والتفت الى الفتاة قائلاً:

«أليس كذلك يا استيل».

والتفتت الفتاة في رشاقة مصطنعة وقالت في دلال:

«أنت على حق دائماً يا آدم».

«حسناً قلت يا عزيزتي.»

والتقت نظراتهما في تحدّ ودّي.

كان من الواضح ان المعرفة بينهما وثيقة. وشعرت سامانتا بضيق لم تدر سببه، كانت تأمل ألاّ يحاول آدم أن يصحب صديقاته الى المدرسة دائماً، وخاصة اذا كن من طراز استيل التي لم تشعر بأي ميل نحوها.

واتجه آدم صوب استيل ووضع ذراعه في ذراعها وهو يقول:

«تعالي الآن، سأريك مملكتي وسنمر على المطبخ أولاً لنرى ما اذا كانت السيدة كمبل يمكنها أن تقدّم لنا شيئاً قبل أن أوصلك الى المحطة.»

وتذكّرت سامانتا في هذه اللحظة، قول العم ادوارد أن آدم سيتزوّج عندما يجد الفتاة المناسبة. حسناً إذا كانت استيل هي الفتاة المناسبة، فإنه يستحق ذلك بالفعل. أخذت سامانتا تحدّث نفسها بذلك، ثم انتبهت الى رد الفعل العنيف، الذي أحدثه لقاؤها باستيل، فهذه هي المرّة الأولى التي لا تشعر فيها بالميل لمن تقابله لأول مرة.

ولم تر سامانتا استيل نورتون بعد ذلك خلال اليوم، منذ ذهبت مع آدم على ما يبدو الى غرفته، حيث تناولا طعام الغداء. وعندما لاحظت سامانتا بعد قليل اختفاء سيارة آدم التي كانت تقف أمام المدرسة، شعرت بنوع من الارتياح.

كانت فترة ما بعد الظهر مزدحمة بالعمل بالنسبة لسامانتا. فقد كان عليها

الاتصال هاتفياً بالمدرسين غير المقيمين بالمدرسة، لحضور الاجتماع مع آدم رويل. وقد اعتذر تيري ريد مدرّس التربية الرياضية، لارتباطه بالتدريب في نادي الاسكواش المحلي، أما المدرّسات الثلاثة الأخريات فقد قبلن الدعوة.

وعندما اتصلت سامانتا بالآنسة ماسون مدرّسة الموسيقى، جاءها صوتها المتحمس وهو يقول:

«بالطبع سأحضر فأنني أتوق الى رؤية الرجل الجديد».

كانت إميلي ماسون شابة جميلة، ولكنها كانت تشك في أنّ آدم رويل سيؤخذ بجمالها، بينما لم يكن يخالجها الشك في أن استيل نورتون هي طرازه المفضل من الفتيات.

ولم ينقطع رنين الهاتف في مكتب السكرتارية، فقد كان أولياء امور التلاميذ يريدون الاستفسار عن بعض الأمور، وخاصة إمكانية رؤية المدير الجديد. وكان هذا شيئاً طبيعياً بالنسبة لمدرسة صغيرة مثل كينغز ورثي حيث كانت شخصية المدير شيئاً هاماً، وقد حاولت سامانتا بقدر الامكان أن تطمئن الأهالي الى أنّ كل شيء سيمضي وكأن السيد ادوارد هو الذين يدير المدرسة.

ودخلت كريستين أثناء انشغال سامانتا بإحدى هذه المكالمات الهاتفية، وقد حملت فنجاناً من الشاي اليها. وابتسمت وهي تقول:

«كيف الحال يا سامانتا، وأين هو الرجل الجديد، لم ألمحه بعد».

«لقد عاد ولكنه ذهب ليوصل فتاة بسيارته الى المحطة».

وظهر الاهتمام واضحاً على وجه كريستين وهي تقول:

«حقاً وما شكلها؟»

«تبدو عادية تماماً ولكنها ذات دلال واضح، ان مظهرها لم يؤثر فيّ كثيراً».

وشعرت سامانتا بنوع من تأنيب الضمير فقد كانت تعرف أنها لا تقول الحقيقة.

وردّت كريستين قائلة:

«آمل أن يعود في الوقت المناسب ليرحّب بضيوفه. فالجميع يتحدثون عن المدير الجديد، أما السيد جونز فإنه التزم غرفته ولم يشترك في أي حديث على الاطلاق، واعتقد أنه سيفتقد السيد بارنز أكثر من أي شخص آخر».

وهزّت سامانتا رأسها موافقة وهي تقول:

«نعم السيد جونز رجل نابغة ما كان له أن يعمل بالتدريس هنا، وكان من الأفضل له لو استمرّ في الجامعة».

وأخذتا تتجاذبان أطراف الحديث ثم نهضت كريستين وهي تقول لسامانتا:

«لن أطيل الحديث معك لأنني أعرف أنك مشغولة، سأراك وقت العشاء وربما نرى السيد رويل المغرور أيضاً».

ولكن رويل لم يحضر في وقت العشاء، وعندما سألت سامانتا السيدة كمبل عنه أجابت بأنها لم تره منذ ذهبت اليه بطعام الغداء هو وصديقته في غرفته، ولاحظت سامانتا مظاهر الاستياء على وجهها وهي تقول ذلك، فودّت لو عرفت منها لماذا لم تعجب بإستيل نورتون. وبعد فترة قالت السيدة كمبل:

«ان الطاهية تسأل هل عليها أن تحمل الفطائر الى غرفة المدير كما كانت تفعل مع السيد بارنز».

«نعم أعتقد ذلك».

أجابت سامانتا وهي تود لو أن آدم كان موجوداً ليقرر ذلك بنفسه، ولكنها تذكرت قوله لها بأنه يمكنه الاعتماد عليها، فالتفتت الى السيدة كمبل قائلة:

«انتظري، أعتقد أنه من الأفضل أن يكون الاجتماع في غرفة الطعام هل توافقين على ذلك؟»

«نعم يا آنسة غولد سأذهب لمساعدة الطاهية قبل عودة السيد رويل».

ودقت الساعة السابعة والنصف ولم يحضر آدم، وجلس الجميع في غرفة

الطعام يتجاذبون الحديث في انتظار وصوله، ووجدت سامانتا نفسها تقوم بدور المضيفة، وحاولت أن تعتذر عن تأخر آدم قائلة إنه سيحضر في الحال ولكن ذلك لم يحدث، فبدأت تشعر بالقلق الشديد. لا يمكن أن يكون آدم قد نسي كل شيء عن أمر هذا الاجتماع، ولا بد أن شيئاً ما قد حدث، وأخذت تسائل نفسها ماذا تفعل، هل تطلب الشرطة أو تسأل في المستشفيات إن كان ثمة حادث وقع، ولكنها ترددت كثيراً في اتخاذ مثل هذا الاجراء.

وانتهزت سامانتا فرصة انشغال الجميع بالحديث عن ذكريات العطلة، واتجهت الى غرفة آدم وطرقت الباب برفق، ولما لم تتلق رداً عادت الى غرفة الطعام، وقد ازداد شعورها بالقلق. وبينما هي في حيرتها جاءت السيدة كمبل وأمسكت ذراعها برفق وهي تجذبها جانباً وتقول بصوت خافت:

«آنسة غولد هل يمكنك الحضور فوراً، لقد عاد السيد رويل وهو يطلب رؤيتك».

وازداد شعور سامانتا بالقلق وهي تنظر الى السيدة كمبل وتبعتها وهي تسأل عما حدث.

«لا أدري تماماً يا آنسة غولد؛ ولكن مظهره يبدو فظيعاً».

وعندما دلفت سامانتا الى غرفة الجلوس حيث كان آدم، أدركت على الفور أن السيدة كمبل كانت على حق، فقد كان آدم جالساً وقد تدلّى رأسه وتهدّل شعره الفاحم على وجهه الملوث بالأقذار كان يبدو بالفعل فظيعاً.

وتمالكت سامانتا أعصابها كما هو الحال معها دائماً في مثل هذه المواقف، وعلى الرغم من أنها هلعت لدى رؤيتها لآدم على هذه الصورة، إلاّ أنها سرعان ما استعادت هدوءها وجلست على المقعد المجاور له ووضعت يدها برفق على ذراعه اليسرى بدون أن تقول شيئاً.

ورفع آدم رأسه فرآها، وأمسك بيدها بقوّة فاقتربت سامانتا منه وهي تقول بلطف شديد:

«هل أحضر المشرفة الصحية؟»

وهزّ آدم رأسه رافضاً بدون أن ينظر الى أعلى، فالتفتت سامانتا الى السيدة كمبل التي كانت تقف بالباب وقالت:

«أرجوك، لا تقولي شيئاً عن هذا الموضوع الآن».

وانتظرت السيدة كمبل لحظة وهي تحملق في رأس آدم المدلاة، ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها.

وجلست سامانتا الى جانب آدم في هدوء ويدها ما زالت في يده. لم تستطع رؤية وجهه وهي في جلستها، ولكنها كانت ترى جبهته وقد تهدّل شعره عليها، وتملكتها رغبة شديدة في أن تربت على شعره:

وأخيراً رفع آدم رأسه وهو يقول معتذراً وقد ازداد وجهه شحوباً:

«آسف لما حدث».

وردّت سامانتا بلطف:

«ولكن ماذا حدث؟ هل تفضّل ألا تتحدث عن ذلك؟»

«لقد فوجئت بطفلة تخرج من أحد الأكواخ بسرعة وتندفع أمام السيارة».

وأغمض عينيه بشدّة وكأنه يرى كل شيء يحدث من جديد، ثم استطرد بعد فترة:

«حاولت تفاديها وانحرفت بالسيارة بشدة فانقلبت في إحدى الحفر».

ولم تستطع سامانتا أن تمنع نفسها من أن تسأل في جزع:

«والطفلة؟»

«شكراً لله فقد أمكنني تفاديها في اللحظة الأخيرة».

وأعقب ذلك فترة من الصمت العميق قطعها آدم، وبدا عليه وكأنه يبذل جهداً في الحديث وقال:

«وماذا عن الحفل يا سامانتا هل أفسدت أنا كل شيء؟»

وأشارت سامانتا بيدها بما يعني أن هذا لا يهمّ وقالت:

«لقد أقمنا الحفل في غرفة الطعام لحسن الحظ، والجميع يتناولون القهوة الآن وهم يستعيدون ذكريات العطلة».

«لا يفوتك شيء يا سامانتا».

وشعرت سامانتا وهو يقول ذلك بيده تضغط على يدها وسألت سامانتا:

«هل تريد منّي أن أصرف الجميع، يمكنني ذلك من دون أي حرج».

ورفعت اليه وجهها مبتسمة وهي تقول:

«تعرف أنني أتمتع باللباقة!»

والتقت نظراتهما وهو يتمتم:

«أعرف ذلك».

وشعرت سامانتا أنها لا ترغب في أن تبعد عينيها عن عيني آدم النفّاذتين، وشعرت بالأرض تميد تحت قدميها وبدا كل شيء في الغرفة وكأنه يتراقص أمام عينيها. كل شيء تغيّر فجأة كأنها في حلم. ولكنها أفاقت الى صوت آدم وهو يقول:

«إنني أفضّل الذهاب الى الحفل».

وبدا عليها الارتباك وقد تذكّرت فجأة أمر الحفل، وتساءلت في صوت بدا غريباً لها:

«تستطيع ذلك حقاً، هل تشعر أنك بخير؟»

ورد آدم بالايجاب، وبعد فترة قال وهو يهزّ رأسه كمن يريد أن يطرد الذكرى المؤلمة:

«لقد هزّني منظر الطفلة، هذا كل ما في الأمر».

وترك يدها تسقط من يده فانتابها شعور للحظة بأنها ضائعة وقال مازحاً:

«هل أبدو في مظهر لائق، أم أنّ مظهري يوحي بالفعل بما حدث.»

وبذلت سامانتا جهداً كبيراً لتعود الى طبيعتها، وتتمكّن من التجاوب معه في هذا الحديث، ونظرت اليه وهي تتفحصه وقالت:

«أعتقد أنه يجب أن تعدل قليلاً من مظهرك».

فنهض آدم واقفاً وهو يقول:

«إذاً تعالي لتساعديني، ستكونين وصيفتي الى جانب كونك سكرتيرتي.»

وخرجا معاً واتجها الى غرفة نومه، حيث مسح عن وجهه الأقذار وهذّب شعره. وأخذت سامانتا تتلفّت حولها وقد انتابها شعور غريب. كانت المرّة الأولى التي تدخل فيها بصحبة رجل الى غرفة نومه. وأفاقت سامانتا من أفكارها وشعرت أنّ الأمر يبدو طبيعياً بالنسبة الى الظروف الحالية، وصمّمت على مقاومة انفعالاتها.

أخذت سامانتا تساعد آدم في تنظيف ثيابه، وركعت على ركبتيها لتتمكّن من تنظيف سرواله من الأوحال اللاصقة به. وعندما انتهت من ذلك نظرت الى أعلى وقد ظهر المرح في عينيها وهي تقول:

«مكان المرأة الطبيعي على ركبتيها أمامك، أليس هذا هو رأيك؟»

فانفجر آدم ضاحكاً وهو يقول:

«ولكن هذا لا ينطبق عليك، فانك لن تخضعي أبداً لرجل».

قال ذلك وهو يمدّ يديه ليساعدها على الوقوف. وشعرت سامانتا للحظة أنها تكاد تلتصق به،ثم قال بصوت رقيق:

«شكراً يا سامانتا والآن هيّا إلى الحفل، وأرجوك أن تحاولي الاعتذار عن تأخري بأي سبب فإنني لا أريد التحدث عمّا حدث الليلة على الأقل».

وبدا عليه التفكير وهو يقول:

«لا أعرف ما اذا كانت استيل قد لحقت بقطارها، فقد وقع الحادث أثناء توجهنا الى المحطة، كانت سعيدة الحظ فلم يحدث لها أي شيء، ولم تتأثر بما حدث، وتمكّنت من ايقاف إحدى السيارات لتأخذها الى البلدة، أما أنا فقد كان عليّ أن أنتظر رجال الشرطة وما إلى ذلك في مثل هذا الموقف».

وقالت سامانتا وهي تحدّث نفسها ربما كان آدم يفسّر موقف استيل

بأنه برود أعصاب، ولكنها كانت تعتقد أنه ينطوي على القوة. وتمنّت سامانتا في هذه اللحظة ألاّ تحضر استيل الى المدرسة مرّة أخرى، فقد شعرت أن ظهورها من جديد على مسرح الأحداث، سيؤثر على الاستقرار الذي كانت ترجو أن تحققه في المدرسة أثناء فترة تغيّب العم ادوارد.

واتجهت سامانتا و آدم بعد ذلك الى غرفة الطعام حيث يوجد الجميع. وبدا واضحاً منذ البداية أن آدم حاز إعجاب الجميع، وخاصة الجنس اللطيف. ولاحظت سامانتا النظرات المختلسة التي كانت المدرسات ينظرن بها الى آدم وهو يقف الى جانب النافذة يتحدّث مع السيد جونز.

وقالت كريستين التي كانت تقف الى جانب سامانتا:

«أرى الآن ماذا كنت تعنين بجاذبيته التي لا تقاوم».

ونظرت سامانتا الى الجمع حولها، لقد نجح آدم في الظفر باعجاب المدرسات بدون استثناء وقد بدا عليهن الانفعال والمرح، ووجدت سامانتا نفسها تبتسم وهي ترى التأثير الذي أحدثته شخصية آدم في هذا الجمع من النساء، ولكن، ألم تتأثر هي أيضاً بشخصيته؟

واعتذر آدم وأبدى رغبته في الانسحاب وتوقف قليلاً أمام سامانتا وهو يخرج من الغرفة قائلاً:

«أرجوك أن تمرّي عليّ في جناحي فإنني أريد التحدّث معك».

وانسحبت سامانتا بعد قليل معتذرة بأن لديها عملاً تريد إنجازه واتجهت الى مكتبها، فقد شعرت برغبة شديدة في الانفراد بنفسها قليلاً، واستغرقت في تفكير عميق. إنها لن تسمح لآدم بالتأثير عليها ولن تسمح لنفسها بالتعلّق به، فهي تعرف بعدما سمعته من العم ادوارد و ليزا، بأنه من الطراز الذي يوصف بمعبود النساء وهذا الطراز لا يفكّر في الزواج ولن تكون أبداً من حريم آدم رويل. وصمّمت سامانتا أن تستمرّ العلاقة بينها وبين آدم، علاقة المدير بالسكرتيرة وعليها أن تهتمّ بعملها وتشغل نفسها بالتفكير في ريتشارد.

وعند هذا الحد من تفكيرها وقفت سامانتا واتجهت الى جناح آدم وطرقت الباب فسمعت صوته من الداخل يطلب اليها الدخول.

كان آدم يجلس في استرخاء تام على مقعده المريح، ويرتدي روباً قرمزي اللون وقد خلع حذاءه. وعندما دخلت سامانتا بادرها معتذراً وهو يشير الى ثيابه:

«آسف لمظهري، ولكنني شعرت برغبة في الاسترخاء بعد عناء اليوم.»

ونظر اليها قائلاً:

«هل تجلسين يا سامانتا».

«شكراً».

ردّت سامانتا في لهجة حاولت أن تكون جادّة ثم سحبت مقعداً وجلست أمام الطاولة. وبدأ آدم الكلام:

«أردت أن أشكرك على مساعدتك لي ووقوفك الى جانبي».

ولمّا لم تجد سامانتا ما ترد به فقد سكتت وأخذت تتصفّح إحدى المجلات الملقاة على الطاولة أمامها فاستطرد آدم:

«أعتقد أن الحفل قد نجح على الرغم من أي شيء، ألا تعتقدين ذلك؟ الآن أعرف ما كنت تعنين بقولك إن الجميع يشكّلون مجموعة مترابطة، إنّ الجوّ هنا يوحي فعلاً بأنه جوّ عائلي».

وسألت سامانتا:

«وهل يعجبك هذا؟»

«تقصدين هل غيّرت من موقفي السابق؟»

ونظرت سامانتا الى عينيه فرأت فيهما بريقاً ضعيفاً وهو يقول:

«أعتقد أنه من الضروري أن أخفّف من موقفي قليلاً، إذا كان عليّ أن أقوم بعملي في سهولة الى حين عودة السيد بارنز حقاً إنّ هذه الفكرة لا تروقني ولكنّني أشعر أنني مدين للسيد بارنز بالكثير ولن أخذله، يبدو لي أنه أكثر

من مدير للمدرسة إنه يقوم بدور الأب أيضاً.

«أعتقد ذلك، ولكن ألا ترى أن هذا واجب المدير الكفوء؟»

فأجاب في لهجة تهكميّة:

«يجب أن أفكر في ذلك، فإنّ الفرصة لم تتح لي من قبل للقيام بدور الأب، ولا أعتقد أنه ستتاح لي مثل هذه الفرصة لفترة طويلة قادمة».

ووجدت سامانتا نفسها تتساءل إذا كان آدم قد تعوّد على ترديد مثل هذه التحذيرات، للفتيات حتى لا يسئن فهمه ثم قالت:

«حسناً إنني سعيدة لقرارك بتغيير موقفك وأنا على يقين من أن كل شيء سيمضي بطريقة سهلة».

«كل شيء! لا أعتقد ذلك».

«تقصد بالنسبة للكتاب الذي تقوم بتأليفه، لقد نسيت كل شيء عنه».

وبدا آدم مشغول الذهن وهو يتكيء الى الخلف في مقعده، وقد وضع ساقاً على ساق. كانت سامانتا تشعر بعينيه تتفحصانها، ولكنّها صممت على تحاشي النظر اليه. وبعد فترة قال:

«إذا كان عليّ أن أقوم بدور الأب، فلن يكون لديّ وقت فراغ لأعمل في كتابي، وفي هذه الحالة ليس أمامي سوى حل واحد ولذلك طلبت منك الحضور».

ونظرت سامانتا اليه نظرة سريعة، ولكنّها حوّلت عينيها بعيداً عندما التقت بعينيه الداكنتين.

واستطرد آدم يقول:

«الحل هو أن أجد من يساعدني، وأعتقد أنك تتفقين معي في الرأي على ضرورة القيام بدوري كما يجب كمدير للمدرسة».

«بالطبع أرجو ذلك».

«إذاً ما رأيك في أن تقومي بمساعدتي، إنّ الأمر لن يتطلب منك سوى ساعتين في المساء».

وبدأت سامانتا تشعر بغيوم الخطر وهي تتجمّع أمام عينيها. كانت تشعر أن الأمر سيكون محتملاً بالنسبة إليها وهي تقوم بعملها كسكرتيرة، ولكن أن تقوم بعمل خاص في غرفة آدم وبمفردها معه فهذا شيء آخر تماماً.

وكان آدم يرقبها باهتمام ثم نظر الى أسفل وهو يقول:

«بالطبع سأدفع لك أجراً إضافياً».

واندفعت سامانتا تجيب:

«يا إلهي! أنا لا أريد شيئاً من هذا القبيل فإنّ راتبي يكفيني».

«إذاً ما المانع؟ ألا ترغبين في العمل فترة اضافية أم أن في الأفق شخصاً آخر سيضايقه عملك في المساء؟»

وردّت سامانتا بالنفي بطريقة حاسمة فاستطرد قائلاً:

«أليس لديك صديق؟»

ثم استطرد بلهجة تشوبها بعض السخرية:

«إنني مندهش من موقفك مني».

وشعرت سامانتا بأن كبرياءها قد جرحت فرفعت إليه وجهها وهي تقول:

«ليس في الأحياء المجاورة».

«إذاً ليست هناك أية مشكلة».

ونظرت سامانتا اليه بشيء من العداء وهي تودّ أن تقول له، إن المشكلة تنحصر في أنه جذّاب الى الدرجة التي تجعلها ترتعد من فكرة وجودها معه بمفردها وبدلاً من ذلك ردّت قائلة:

«ليست هناك أية مشكلة طالما لن يتعارض ذلك مع أعمال المدرسة».

وظهر الارتياح على وجه آدم فأدركت سامانتا مدى أهمية عمله في الكتاب بالنسبة إليه. ثم قال:

«هذا شيء رائع، هل نبدأ غداً؟ أعرف أن غداً سيكون يوماً مشحوناً بالعمل لنا جميعاً، ولكن ربما أمكننا أن نفعل شيئاً. ووقفت سامانتا وهي تؤكد كلامه ثم

خرجت من الغرفة.

واتجهت الى غرفة نومها. كانت تبدو كمن يمشي في نومه، وصورة آدم ما زالت أمام عينيها. وظلت تفكر وهي في سريرها الى أن انتزعها من أفكارها استغراقها في النوم العميق.

www.elromancia.com

٥ ـ لن يحدث هذا لي

بدأ اليوم الدراسي الأول كالمعتاد مكدساً بالعمل، واستمر توافد التلاميذ وأولياء الأمور الى المدرسة وازدحم البهو بالأمتعة.

وانشغل الجميع بالعمل وكان آدم لا يكاد يجد الوقت الكافي ليشرب فنجان القهوة الذي كانت سامانتا تقدمّه له في مكتبه بين أونة وأخرى.

كانت كريستين تتولىّ أمور التلاميذ والأمتعة، و سامانتا تنظّم لقاءات أولياء الأمور بالمدير الجديد، وتتدخل بلباقة إذا لزم الأمر لانهاء بعض هذه المقابلات. وأظهر آدم خلال لقاءاته مع أولياء الأمور قدرة فائقة على اقناعهم بأنّ كل شيء سيمضي في المدرسة في طريقه الطبيعي كما كانت تسير الأمور بادارة السيد بارنز.

وبعد انتهاء اليوم الدراسي توجّهت سامانتا الى مكتب آدم، تحمل له فنجاناً من الشاي وهي تقول:

«يمكنك الآن أن تسترخي، فقد أمكن ترتيب كل شيء والتلاميذ في غرفهم الآن يفرغون أمتعتهم، وقد غادر أولياء الأمور المدرسة»

ورجع آدم بمقعده الى الخلف قائلاً:

«هذه انباء طيبة، ان أصعب شيء بالنسبة لادارة مثل هذه المدارس الصغيرة الخاصة، هو اللقاءات مع اولياء الأمور وبخلاف ذلك، كل شيء يبدو وسهلاً

للغاية»

قال آدم ذلك بلهجة متعجرفة جعلت سامانتا تشعر أن نواياها الطيبة تجاه آدم تنهار فقالت ببرود:

«هل تعني بقولك أن هذه المدرسة حقيرة؟»

والتفت آدم ناحيتها حيث وقفت في مواجهته على المكتب وهو يقول:

«هل ستنفعلين من جديد؟ أنت تعرفين ما حدث في المرة السابقة».

وشعرت سامانتا بالدماء تصعد الى وجهها، وتذكرت في هذه اللحظة قبضة يده القوية وهي تمسك برسغها لتهدئتها. ولكنها عندما نظرت اليه لم تر أي أثر للغضب على وجهه هذه المرّة، ولكنها لمحت بدلاً من ذلك الضحكات وهي تتراقص داخل عينيه.

وقال آدم وهو يشرب الشاي:

«شكراً لاحضارك الشاي، والآن يمكنك أن تطلبي من السيد جونز الحضور الى المكتب في أي وقت، فإنني أريد التحدث معه قليلاً».

واتجهت سامانتا الى الباب وهي ترد ببرود:

«نعم يا سيد رويل».

وقبل أن تصل سامانتا الى الباب ناداها آدم وكأنه تذكّر فجأة شيئاً هاماً.

« سامانتا ماذا عن هذا المساء متى تحضرين الى المكتب؟»

ووقفت سامانتا تفكّر قليلاً قبل أن تجيب:

«ربما يتأخر العشاء الليلة اكثر من المعتاد، وقد لا ننتهي منه قبل الثامنة».

«ولكن هل لديك ارتباط بعد ذلك، أقصد بالنسبة للتلاميذ؟»

«لا. فان هذا لا يدخل في نطاق واجباتي، ولكنني أقدم مساعداتي فقط إذا لزم الأمر».

كانت سامانتا تقف في منتصف الباب الذي كان مفتوحاً وانعكس الضوء

عليها، قبضت صورتها وهي تلبس بلوزة بيضاء وعقصت شعرها الأشقر خلف أذنيها وانسدل ليصل قرب كتفيها والتفتت فجأة، فرأت آدم وقد ثبت عينيه عليها فانتابها شعور بالخجل، وحوّلت نظرها بسرعة الى الجهة الأخرى وساد بينهما فترة صمت حرج قطعته سامانتا قائلة:

«هل يناسبك الساعة الثامنة والنصف؟»

«نعم هذا مناسب جداً ولن أعطلك طويلاً».

وبعد أن خرجت سامانتا وأغلقت الباب وراءها، بدا آدم شارد الذهن تماماً ولزمه بعض الوقت، ليمكنه العودة من جديد الى تصفّح الأوراق أمامه.

وعادت سامانتا الى غرفتها وكانت تجمع بين النوم والجلوس على مقعد مريح ووضع مكتب صغير بجانب النافذة الكبيرة التي تطلّ على الحديقة الخلفية.

جلست سامانتا الى المكتب وقد شعرت برغبة طاغية في الكتابة لريتشارد، ولكنها وجدت صعوبة في ذلك هذه المرّة. فقد كان عليها أن تحدّثه عن أخبارها وأخبار المدرسة وحضور آدم، ولم يكن من السهل عليها التعرّض لهذه الأحداث بدون التورّط في الحديث عن مرض العم ادوارد.

ووضعت سامانتا الورق جانباً بعد أن أقنعت نفسها أنها ستكتب له في اليوم التالي.

واقترب موعد العشاء فأخذت سامانتا تستعدّ له، واختارت ثوباً جديداً من الحرير الازرق الباهت، أظهر بوضوح جمال عينيها الزرقاوين. ووقفت طويلاً أمام المرآة تعدل من زينتها وترددّت قليلاً قبل أن تضع بضع نقاط من العطر الرقيق، الذي أهدته لها كريستين في عيد الميلاد. وبعد أن نسّقت شعرها بعناية وقفت طويلاً امام المرآة لتطمئن على مظهرها، ولكنها أفاقت فجأة وهي تسائل نفسها لماذا كل هذا الاهتمام بمظهرها الليلة.

وكانت سامانتا تعرف الاجابة على هذا التساؤل، انه نفس السبب الذي

دعا السيدة كمبل الى ارتداء ثوبها الوردي والذي أشاع شعوراً بالمرح بين المدرّسات الشابات في الحفل. انه وجود آدم رويل هذا الساحر محطّم القلوب.

وانتبهت سامانتا من أفكارها وهي تردّد بصوت عال:

«لا لن يحدث هذا لي».

وبعصبية واضحة نزعت عنها ثوبها الأزرق الجديد، وقذفت به على السرير وارتدت ثوباً قديماً. كانت سامانتا ترفض أن تخضع مثل غيرها من النساء لهذا السحر العجيب الذي يشع من عيني آدم وشخصيته، وتحب طبيعتها كما هي وتريد أن تظلّ الفتاة الباردة المشاعر المستقلة كما كانت ليزا تصفها دائماً.

وصمّمت سامانتا أن تظلّ علاقتها بآدم في أضيق نطاق ممكن، بما يكفل مصلحة المدرسة الى حين عودة العم ادوارد. وكان الوقت ما زال مبكراً فنزلت الى البهو حيث وجدت الآنسة بيلي تقف أمام باب مكتب المدير وقد عقصت شعرها بعناية أعلى رأسها، وصبغت وجنتيها باللون الأحمر، وما أن رأت سامانتا حتى ابتدرتها قائلة:

«لقد كنت أبحث عنك يا آنسة غولد»

ثم سكتت قليلاً وبدا عليها التردد وهي تقول:

«كنت أتساءل اذا كان يمكنني التحدّث الى السيد رويل بشأن العمل، هل هو بالداخل؟»

وردّت سامانتا وهي تحاول أن تجنّب آدم مثل هذه المتاعب:

«لست متأكدة من ذلك».

وفي هذه اللحظة فتح باب المكتب وخرج آدم، فاندفعت الآنسة بيلي ناحيته وبادرته بالحديث على الفور. نظر آدم الى سامانتا متعاتباً كأنه يحمّلها مسؤولية توريطه في مثل هذه المتاعب.

وقالت الآنسة بيلي وهي تبتسم:

«هل يمكننا أن نلقي نظرة على جداول ساعات العمل انها داخل المكتب، وأعدك

بأنني لن أعطلك كثيراً».

قالت الآنسة بيلي ذلك وهي تتجه الى داخل المكتب وتبعها آدم وهو يهزّ كتفيه في استسلام.

خرجت سامانتا الى الحديقة حيث وجدت بعض التلاميذ بصحبة تيري ريد مدرّس التربية الرياضية الذي ما أن لمح سامانتا حتى اتجه اليها يحيّها قائلاً:

«اهلا سامانتا لقد حضرت يا عزيزتي خصيصاً لرؤيتك».

ونظرت اليه سامانتا وهي تبتسم، كان تيري بشعره الأحمر ولون عينه البني الفاتح من النوع المهزار الذي يحب الغزل. ووقفت سامانتا تتجاذب أطراف الحديث مع تيري فسألها:

«وماذا عن المدير الجديد، وكيف تبدو شخصيته؟»

كانت سامانتا لا تريد أن يوجّه اليها أحد مثل هذا السؤال فلم يكن لديها إجابة له فضحكت وهي تقول:

«إنه شاب غير أليف، من الممكن أن يكون صعباً في بعض الأحيان».

وهزّ تيري رأسه وهو يقول:

«أعرف ما تعنين، سأكون على حذر».

وفي هذه اللحظة رأت آدم وهو يقترب منها بقامته الفارعة وشعره الفاحم يتماوج مع النسيم، وقد انعكس ضوء الغروب عليه واكتسبت عيناه هذه النظرة الساحرة.

وخفق قلبها بشدة واندفع الدم الى وجهها عندما جاء آدم لينضم الى صحبتها. وبعد أن قدّمت تيري الى آدم تركتهما يتحدثان عن الرياضة وهرولت سريعاً الى الداخل.

والتقت في طريقها الآنسة ترامب تدخل الى الحديقة ورفعت هذه يدها بالتحية الى سامانتا وهي تقول:

«سأذهب لمساعدة التلاميذ في وضع الفخاخ».

ووقفت سامانتا تراقب الآنسة ترامب وهي تعبر الملعب وتتجه ناحية آدم الذي كان قد أنهى حديثه مع تيري، واقتربت منه ووقفت معه، وسرعان ما أخذا يتبادلان الحديث، وكان واضحاً لسامانتا أن الآنسة ترامب كانت تقوم بالجانب الأكبر من الحديث، ولاحظت أن آدم كان يلتفت بين آونة وأخرى الى الداخل ولكن كان من الواضح أنه لا يستطيع التخلص من الآنسة ترامب.

وابتسمت سامانتا في وقفتها وهي تتذكر قول العم ادوارد إن الفتيات يحمن حول آدم مثل الفراشات حول الضوء.

وبعد العشاء طلبت كريستين من سامانتا أن تمرّ عليها في غرفتها كما تعودّت أن تفعل من قبل، ولكنها شعرت بالتردد في هذه المرة وقالت في شيء من التهكم:

«إنّ حضرته يريد منّي أن أساعده في عمله هذا المساء، وكان عليّ أن أعده بذلك وإلاّ فلن يكون لديه الوقت الكافي لادارة المدرسة».

فردّت كريستين قائلة:

«اخشى ذلك فان الفتيات هنا لن يتحن له الوقت لذلك».

وأخذت كريستين تخبر سامانتا بالاعذار الواهية التي تنتحلها المدرّسات للتحدث الى آدم وبعد أن مضت كريستين جلست سامانتا مع الآنسة بيلي ترتشف القهوة. وكانت تلقي نظرة بين لحظة وأخرى الى ساعة يدها. وأخيراً اقتربت الساعة من الثامنة والنصف فنهضت واقفة وبعد أن اعتذرت بانشغالها بالعمل، اتجهت الى مكتبها لتطمئن الى مظهرها في المرآة قبل التوجه الى جناح آدم.

طرقت سامانتا الباب وجاءها صوت آدم من الداخل يدعوها الى الدخول.

كان آدم يجلس خلف الطاولة الكبيرة الموجودة بالغرفة محاطاً بأكوام من

الكتب والأوراق المتناثرة، وكان مرتدياً صديرياً بسيطاً وسروالا يلوح للعين قديماً وقد بدا وجهه شاحباً وشعره مشعثا. وكان في مظهره هذا أشبه شيء بالمؤلف الذي تستغرقه الكتابة تماماً.

وأشار آدم اليها بيده الى أحد المقاعد بدون أن يرفع عينيه عن الأوراق أو ينطق بكلمة فجلست تنتظر. وطال انتظارها وبدا آدم مستغرقاً تماماً في الكتابة وقد نسي وجودها تماماً.

وأخيراً توقف عن الكتابة ورجع بمقعده الى الخلف ومدّ لها يده بورقة وهو يقول:

«هل تعتقدين أنه يمكنك حلّ رموزها».

ونظرت سامانتا إلى الورقة وكانت السطور متقاربة جداً وفي حالة يصعب معها قراءتها، ولكنها وعدت بأن تبذل ما بوسعها.

وجدت سامانتا في بادىء الأمر صعوبة، وهي تحاول فكّ رموز الورقة المشوّشة، ولكنها وقد قبلت التحدّي كانت تشعر بمتعه وهي تفعل ذلك. وبعد دقائق قليلة كان يمكنها قراءة خط آدم بسهولة كبيرة. وبعد حوال ربع ساعة كانت قد انتهت من نسخ الورقة على آلة الطباعة وجلست تنتظر.

ولاحظ آدم توقّف صوت الآلة فرفع وجهه اليها وهو يقول:

«حقاً لا أكاد أصدق أنت رائعة ياسامانتا».

وهزّ رأسه وكأنه لا يصدّق عينيه.

واستمرت سامانتا في عملية نسخ الأوراق الواحدة تلو الأخرى، ومع تأخر الوقت شعرت بالارهاق ولكن آدم بدا مستغرقاً في عمله الى الدرجة التي خشيت معها مقاطعته.

وأخيراً تنبّه آدم على صوت طرقات خفيفه على الباب أعقبها صوت الآنسة بيلي وهي تهمس قائلة:

«سيد رويل هل أنت بالداخل».

ورفع آدم عينيه وهو يهمهم في ضيق، ثم رفع صوته يدعوها الى الدخول.

ودخلت الآنسة بيلي الى الحجرة على استحياء، ونظرت الى الأوراق المتناثرة على الطاولة والى سامانتا وهي تجلس امام آلة الطباعة وقالت معتذرة:

«أراك مشغولاً الآن، وأسفة لمقاطعتك. ولكنّنا نعتقد أنه يجب ابلاغك بأمر».

وبدأ آدم وهو يحاول الاحتفاظ بهدوئه يسأل الآنسة بيلي عما تريد قوله.

واندفعت الآنسة بيلي تحدّثه عن الحيوانات التي احضرها فوزر جيل وهو أحد التلاميذ الصغار وكيف أنها هربت من الحظيرة. واستمرّت الآنسة بيلي في حديثها بدون توقف. ونظرت سامانتا الى وجه آدم.

وأدهشها أنه يبدو هادئاً تماماً.

وأخيراً بدا وكأنه لا يمكنه الاستمرار في الاستماع إلى الآنسة بيلي أكثر من ذلك فنهض واقفاً وهو يقول في صوت هادىء تماماً:

«حسناً ياآنسة بيلي سأعمل على حل هذه المشكلة».

وشكرته الآنسة بيلي وغادرت الغرفة وهي تكرّر اعتذارها لمقاطعته.

وبعد أن ابتعد صوت أقدام الآنسة بيلي وهي تنزل السلم بدا وجه آدم مقطباً وهو ينظر الى سامانتا قائلاً:

«أنا على يقين أنني لن أستطيع العمل هنا لفترة طويلة بدون أن أفقد عقلي، ألا يمكنني أن أنعم بشيء من السلام في غرفتي بعد متاعب اليوم الدراسي».

وأخذت أصابعه تعبث بعصبية في شعره وهو يقول:

«في أي حال كان يجب ألا يسمح لهذا التلميذ أن يحضرها معه الى المدرسة، إنها ليست حديقة للحيوانات، ما لي انا ولهذه التفاهات ولديّ من الأعمال الهامة الشيء الكثير لأقوم به».

فردّت سامانتا في هدوء:

«ان فوزرجيل لا يعتقد أن فقد حيواناته بالشيء التافه، بل مهمة له أهمية الكتاب لك تماماً».

وتوقعت سامانتا أن ينفجر آدم غاضباً، ولكنه لم يفعل بل أخذ يحملق فيها وهو يطلب منها ان توضّح له ظروف فوزرجيل. وقصّت عليه سامانتا كيف أن فوزرجيل فقد أمه في حادث طائرة وأن هذا الحادث أثّر فيه الى درجة كبيرة. وبعد أن، انتهت سامانتا من حديثها نظرت الى وجه آدم فرأته وقد زال عنه الغضب وجاءها صوته غريباً وهو يقول:

«حقاً، إنّ شيئاً لا يمكن أن يعوّض فقد الأم».

قال آدم ذلك في لهجة جعلتها تشعر أنه لا بد وأن يكون مرّ بتجربة مماثلة.

وبعد فترة ابتسم آدم قائلاً:

«انك على حق يا سامانتا ربما كانت حيوانات فوزرجيل من الناحية الانسانية أهمّ من كتابي».

ثم نهض واقفاً وهو يقول:

«ما رأيك في أن نخرج ونشارك الجميع في عملية البحث عنها».

ونظرت اليه سامانتا وقد لمعت عيناها في امتنان وهي تقول:

«شكراً يا سيد رويل».

ونظر اليها آدم قائلاً:

«قد يكون من الأنسب أن تناديني بآدم فنحن في غير أوقات العمل».

كان آدم يقف خلفها وهي تجلس على المقعد حتى تكاد تشعر بسترته الصوفية وهي تلامس ذراعها العاري، فخفق قلبها بشدة. كانت سامانتا تريد أن تغادر مقعدها ولكنها خشيت لو فعلت ذلك في هذه اللحظة، أن تجد نفسها في مواجهة آدم وهي تكاد تلتصق به مما سيسبّب لها حرجاً شديداً. ولم تكن سامانتا تشعر بمثل هذا الشعور مع أي رجل آخر في مثل هذا الموقف فالأمر يختلف تماماً مع آدم.

وشعرت سامانتا بيد آدم تمتد لتلمس كتفها فانتفضت واستدارت بسرعة في مقعدها وقد شعرت باضطراب شديد ورأت وجه آدم، وقد ارتسم عليه

تعبير غريب فنظرت اليه وهي تتساءل في بلاهة:

«ماذا... هل حدث شيء؟»

«أنت تعرفين تماماً ماذا حدث، إنك فتاة مثقفة حقاً يا آنسة غولد، وما أنا إلاّ رجل يخفق قلبي بمشاعر الرجل كأي انسان».

ثم لوى شفتيه تعجباً وقال:

«اعتقد أنه من الأفضل أن نسرع بالخروج لنبحث عن الحيوانات».

ومدّ يده فأمسك بيدها وجذبها من فوق المقعد ودفعها صوب الباب وهو يضحك قائلاً:

«اخرجي الآن، الأمان أولاً، هذه هي القاعدة الذهبية عندي».

وحاولت سامانتا أن تتماسك، فقد كانت هذه التجربة التي يمتزج فيها المرح بالعواطف المحمومة، شيئاً جديداً عليها تماماً، فإنها لم تعرف من قبل رجلاً مثل آدم رويل. وأخذت تسائل نفسها إذا كان من الأفضل لها لو أنها إستمعت الى تحذير ليزا. ولكن يبدو أنها وجدت الرد السريع على هذا التساؤل، فقد نظرت الى آدم وابتسمت له برقة شديدة وهي تسير بجانبه صوب الحديقة.

وعندما وصلا اليها كانت عملية البحث عن الحيوانات على أشدّها، وقد اشتركت فيها كريستين والآنسة بيلي التي كان صوتها يعلو على أيّ صوت آخر.

وعندما رأى فوزرجيل آدم يقترب، بدا عليه الخوف الشديد واندفع اليه قائلاً وهو يلهث:

«أنا آسف يا سيدي، ولن يحدث هذا مرة أخرى».

وأعقب ذلك فترة صمت وترقّب قطعها آدم في صوت تعمّد أن يكون جافاً وهو يوجه حديثه الى الطفل:

« فوزرجيل هل تأكدت من إغلاق الحظيرة بعد ظهر اليوم».

وفي الضوء الخافت استطاعت سامانتا أن ترى وجه الطفل، وقد ملأه

الخوف الشديد وهو يردّ بصعوبة بالايجاب.

واستطرد آدم بنفس اللهجة:

«وعندما عدت في المساء وجدت الحظيرة مفتوحة وقد هربت الحيوانات؟»

فأجاب الطفل بالايجاب. وأعقب ذلك فترة صمت أخرى قبل أن يسأل آدم:

«وكيف تفسر ذلك؟»

وبدا الحزن على وجه فوزرجيل وهو يردّ قائلاً:

«لا أدري يا سيدي. لا بد وأن هناك خللاً بالباب».

«هل تعتقد أن شخصاً تعمد فتح الباب؟»

«لا يا سيدي. لماذا يريد أي شخص أن يفعل ذلك؟»

وهزّ آدم رأسه وهو يقول:

«حسناً، يجب أن نبحث عن الحيوانات ونحاول أن نعثر عليها».

وصاح فوزرجيل في مرح غامر:

«هل تعني يا سيدي أنه يمكنني الاحتفاظ بها؟»

«بالطبع ولكن يجب ان تضعها في مكان مأمون آخر».

وابتسم آدم للطفل الذي اندفع راكضاً ليبحث عن حيواناته وشعرت سامانتا بالارتياح. فقد نجح آدم في أول مواجهة له مع تلاميذ المدرسة وكانت تعتقد أن العم ادوارد نفسه ما كان ليمكنه أن يعالج هذه المسألة بطريقة أفضل.

وقال آدم بعد انصراف فوزرجيل.

«انه شيء مدهش حقاً. لقد أتحت الفرصة لفوزرجيل لأن يلقي مسؤولية ما حدث على غيره، ولكنه لم يفعل. أعجبني موقفه جداً فان أكثر ما يعجبني في هذه الحياة هو الصدق والأمانة».

وقالت سامانتا:

«ان العم ادوارد يتفق معك في ذلك».

«وما رأيك يا سامانتا، هل تتفقين معي؟»

كان سؤاله غريباً فنظرت اليه لترى عينيه وقد صوّبهما الى وجهها في اهتمام شديد وكأنّ ردّها يعني الكثير له.

وشعرت سامانتا في هذه اللحظة أن آدم كان يمكن أن يكون محامياً ناجحاً لو أنه لم يعمل بالتدريس. وردت قائلة:

«بالطبع، انني أتفق معك».

كانا يسيران ببطء شديد وهما يقتربان من فريق البحث عن الحيوانات لمشاركته في مهمته. ثم توقف آدم تماماً ووقف أمام سامانتا وأخذ ينظر اليها في صمت وقد علت وجهه تقطيبة خفيفة وقد استغرقه التفكير، وبدا وكأنه نسيها تماماً. قالت سامانتا بلهجة مازحة:

«ألم يحن الوقت بعد لأترك منصة الشهادة؟»

وتنبّه آدم من تفكيره وانفجر ضاحكاً وهو يقول:

«آسف فقد سرحت بأفكاري بعيداً، تعالي الآن وأراهنك انني سأكون أول من يعثر عليها».

٦ ـ مؤامرة على الحب

مضت عشرة أيام على بدء الدراسة. وكان الوقت مساء وقد جلست سامانتا مع كريستين في غرفتها تتجاذبان أطراف الحديث وقالت كريستين وهي تصبّ القهوة:

«هذه المرة الأولى يا سامانتا منذ عشرة أيام، لا يكون لديك عمل في المساء، ان هذا الرجل يرهقك كثيراً.»

وجلست سامانتا على مقعدها في استرخاء وحاولت أن تبدو كأنها تفضّل أن تخلو الى كريستين في غرفتها على أن تعمل مع آدم وقالت:

«لقد منحني راحة هذا المساء لأنه ذهب لزيارة العم ادوارد الذي قد يغادر المستشفى في الأسبوع المقبل، أليس هذا رائعاً؟»

«لقد تحسّنت صحته أسرع مما كان متوقعاً...ولكن أين سيقضي فترة النقاهة؟»

«سيذهب عند شقيقته في ديفون، ولو أنه يفضّل العودة الى المدرسة، وأعتقد أن وجوده هناك في هذا الوقت من العام، سيفيده كثيراً وقد يشفى سريعاً ليعود الى المدرسة في بداية الفترة الدراسية القادمة.»

وبدا على سامانتا التفكير، فإن عودة العم ادوارد يعني رحيل آدم، وهي لا يمكن أن تتخيّل المدرسة بدونه فقد كان الأثر الذي أحدثته شخصيته في كل ما حوله قوياً الى درجة لا يمكن تجاهلها.

وجلست كريستين في مواجهة سامانتا وبدا عليها التردد وهي تقول:

«تبدين مرهقة الليلة يا سامانتا، ألا تعتقدين أنك تتعبين نفسك بالعمل أكثر من اللازم؟...ما كان عليك قبول العمل الاضافي في المساء»

وهزّت سامانتا كتفيها وهي تردّ قائلة:

«لم يكن أمامي خيار، ان كل ما يهمني هو أن تمضي الأمور على ما يرام وهذا لن يحدث ما لم أوفّر لآدم الوقت الكافي لادارة المدرسة، فهو يهتم بكتبه الى درجة كبيرة، وأعتقد أنه لو خيّر بين مصلحة المدرسة والانتهاء من كتابه، لاختار كتابه.»

«لا بد أنه شخص أناني.»

«ألسنا كلنا أنانيين في أحيان كثيرة، أظن أنه على حق في موقفه هذا فقد اضطر الى قبول العمل في المدرسة».

وبدا على سامانتا وكأنها تحاول الدفاع عن آدم.

وسألت كريستين:

«ألا يمكنه نسخ الأوراق بنفسه؟»

«إن مساعدتي له توفّر له الكثير من الوقت، واعترف أنني أشعر بالارهاق في أحيان كثيرة ولكن موضوع الكتاب يهمني. فأنت تعرفين أنني أحبّ كل ما يتصل بالتاريخ.»

وردّت كريستين وهي تضع بعض القطائر أمام سامانتا:

«نعم أعرف ذلك ومازلت أذكر مناقشتك مع ريتشارد حول الحضارات القديمة.»

وشعرت سامانتا عند ذكر ريتشارد بنوع من تأنيب الضمير، فهي لم ترسل له رسالة حتى الآن. وأخذت سامانتا تحدث كريستين عن كتاب آدم في حماس شديد، ويبدو أنها تنبّهت الى ذلك فانسحبت في خجل وهي تقول:

«آسفة. يبدو أنني انفعلت قليلاً.»

ونظرت كريستين الى قدمها وقالت في لهجة حاولت أن تبدو بريئة:

«هل كان انفعالك من أجل الكتاب فقط؟ أرجو ألا يكون سؤالي محرجاً وألاّ تظني أنني أستغل صداقتي لك فأجرؤ على التدخّل في خصوصياتك.»

وارتجفت سامانتا لدى سماعها هذا السؤال، فقد كانت كريستين صديقتها حقاً ولكنها كانت تكبرها بحوالى عشر سنوات، كما أنها كانت أكثر منها خبرة بالحياة ولا يمكن أبداً أن يكون هذا السؤال بريئاً. وعليها أن تفكر كثيراً قبل أن تردّ في هدوء.

«نعم إن انفعالي كان من أجل الكتاب فقط، كما أعترف أن آدم رويل شخص جذاب للغاية، ولكن أي فتاة ذكية لا يمكن أن تجعل هذه الجاذبية هدفاً أعلى لها، وإلاّ تعرضت للمتاعب.»

وظهر القلق في عيني كريستين وهي تقول:

«اذا كان هذا رأيك، ألا تجدين أنّ العمل معه طوال هذه الساعات في المساء سيسبّب لك المتاعب؟»

«لا...لا أعتقد ذلك، فهو يستغرق تماماً في عمله حتى ينسى وجودي معه في الحجرة.»

وكانت سامانتا على حق، فإن معاملة آدم قد تغيّرت تماماً منذ أول يوم عملا فيه معاً، وكان مهذباً جداً معها وبدا واضحاً أنه يحاول وضع حاجز بينهما.

وبعد فترة من الصمت سألت سامانتا:

«والآن ماذا عن أخبارك، هل حدّدت موعداً للزواج؟»

واجتذبها الحديث في هذا الموضوع الى أن حان وقت النوم فغادرت سامانتا غرفة كريستين متجهة الى غرفتها.

وفي الصباح بدا آدم صامتاً على غير العادة ودعا سامانتا الى مكتبه حيث أخذ يعرض عليها بعض الرسائل. وبعد الانتهاء من ذلك انتظرت سامانتا قليلاً قبل أن تضع أمامه بعض الأوراق قائلة:

«هذه هي الرسائل التي وصلتنا رداً على الاعلان الخاص، بطلب مشرفة جديدة

للمدرسة. هل تريد ان تراها؟»

والقى آدم نظرة عابرة على الرسالة الأولى ثم أعاد اليها باقي الرسائل قائلاً:

«من الأفضل أن تبحثي الأمر مع كريستين.»

وأخذت سامانتا الرسائل ثم انتظرت قليلاً قبل أن تسأل:

«هل هناك شيء آخر؟»

ورفع آدم رأسه وقد بدا ساهماً وهو يقول:

«ماذا؟ هذا كل ما أريد.»

وسألته سامانتا عن العم ادوارد فأجابها بأنه تحسّن كثيراً عن المرّة السابقة وقال:

«أعتقد أنه تخطّى مرحلة الخطر، أجريت له بعض الاختبارات وكانت النتيجة مشجّعة.»

وساد الصمت بينهما، وهمّت سامانتا بالخروج وعندئذ قال آدم فجأة:

«كان السيد بارنز يبدو مشرقاً وهو يحدثني عن ابنه ريتشارد.»

وتساءلت سامانتا:

« ريتشارد، وهل تعرفه؟»

«لا إننا لم نلتق أبداً، وأتساءل لماذا لم يعد الى المدرسة خلال فترة مرض أبيه؟»

وأخبرته سامانتا كيف أن العم ادوارد يرفض هذه الفكرة تماماً ثم أضافت:

«ان ريتشارد ممتاز في عمله والعم ادوارد فخور به للغاية.»

ورفع آدم عينيه اليها وقال من دون أن يبتسم:

«وأنت أيضاً، أعتقد ذلك.»

«أنا!!»

ردّت سامانتا وقد شعرت بالدماء تندفع الى وجهها وهي تتساءل ترى ماذا أخبره العم ادوارد بشأن ريتشارد. واستطرد آدم:

«فهمت من حديثي مع السيد بارنز أنك أنت وهذا المدعو ريتشارد على وشك الارتباط بخطوبة.»

وكادت سامانتا تقول لآدم أنه لا شأن له بهذا الأمر، ولكنها تذكرت قرارها الذي اتخذته بعدم محاولة اثارته، سواء بالقول أو بالفعل، خاصة في موقفها هذا حيث هو مدير مدرسة وهي سكرتيرته وقالت سامانتا في برود:

«ان المسألة لا تعدو أننا...»

«اصدقاء!»

قاطعها آدم في لهجة تهكمية فرفعت وجهها في نوع من التحدي وهي تجيبه موافقة على كلامه.

وغادرت سامانتا غرفة المكتب وتوجهت الى غرفتها وبعد فترة مرّ آدم بها وهو عائد من المكتبة وطلب منها أن تحاول منع أي شخص من ازعاجه ثم سألها:

«هل عندي مقابلات هذا المساء؟»

فنظرت في دفتر المواعيد وهي تقول:

«الآنسة غريفز تريد مقابلتك قبل مغادرتها المدرسة، الآنسة جاكسون طلبت مقابلتك أيضاً اذا كان ذلك ممكناً.»

وتجهّم وجه آدم وهو يستمع اليها، وبدا وكأنه على وشك أن يقول شيئاً غير لائق، ولكنه تدارك موقفه واكتفى بأن قال في لهجة وقحة وهو يغادر الحجرة:

«أعتقد أنه يمكنهن ذلك.»

وبعد الظهر جلست سامانتا في مكتب مواجه لغرفة المدير تراقب المدرّسات وهن يدخلن الى مكتب آدم واحدة تلو الأخرى، ولاحظت سامانتا أن المقابلات كانت تستغرق وقتاً أكثر من اللازم.

ولم يغادر آدم الغرفة بعد ذلك وفي الساعة الرابعة أحضرت السيدة كمبل الشاي، ولكن سامانتا طلبت منها أن تحمله اليه بنفسها في غرفته متظاهرة بانشغالها في العمل، فقد كانت تخشى الدخول في هذه اللحظة بعد كل

هذه المضايقات التي تعرّض لها.

وغادرت سامانتا مكتبها بعد قليل فقد كان عليها أن تشرف على بعض الأمور وعندما عادت اليه رأت الآنسة بيلي تخرج من مكتب آدم وقد بدا وجهها محتقناً،ولم تتوقف لتتحدث معها كما تعوّدت دائما أن تفعل.

وخشيت سامانتا أن يكون آدم قد فقد أعصابه وقال لها ما كدّرها. فاستجمعت شجاعتها وطرقت باب المكتب ودخلت.

كان آدم يجلس فوق مقعده ووجهه ينذر ببوادر عاصفة من الغضب، ونظر اليها نظرة سريعة وهو يقول في لهجة تنطوي على الضيق:

«ماذا هناك؟»

وأجابت سامانتا في صوت حاولت أن يبدو هادئاً تماماً:

«هل يمكنني فحص الأوراق الخاصة بتقارير التلاميذ، فهي هنا، وأعرف انه لم يكن لدينا منها العدد الكافي في العام الماضي».

وتوقفت سامانتا فجأة عن الحديث فقد دفع آدم مقعده الى الخلف في غضب شديد، وردّ في وقاحة متناهية:

«حسناً هيا افعلي ما تريدين، كيف لي أن أعرف شيئاً عن هذه التقارير؟ فأنا لست أمين مكتبة ولم أكن موجوداً هنا في العام الماضي، وأشعر في هذه اللحظة بالذات أنني لن أستمر هنا طويلاً.»

وشعرت سامانتا ببرودة مفاجئة تسري في جسدها فقد كان الموقف أسوأ بكثير من كل توقعاتها، وأزعجها احتمال رحيل آدم، لأن ذلك يعني أنّ العم ادوارد سيضطر الى العودة الى المدرسة قبل تماثله للشفاء تماماً، وهو ما لا يمكن أن تسمح بحدوثه أبداً.

وحاولت سامانتا تجاهل ثورة آدم وسألته بطريقة مباشرة عما حدث.

والتقط آدم مسطرة من فوق المكتب ظنّت سامانتا للحظة أنه سيقذفها بها، وأخذ يحركها بعصبية بين يديه ثم قذف بها على المكتب وهو ينظر اليها

قائلاً:

«هل تريدين حقاً أن تعرفي ماذا حدث؟»

«أعتقد أنه من حقي أن أعرف خاصة إذا كان الأمر متعلقاً بالمدرسة.»

فحملق فيها آدم وهو يقول:

«لن يعجبك ما سأقوله وربما لا تصدقينني.»

«حاول أن تشرح لي ما حدث وستجدني متفهمة تماماً.»

وحاولت سامانتا التخفيف من حدّة غضبه، فجلست الى جانبه وهي تقول في صوت هادىء:

«هل هنّ المدرّسات؟ أعرف أنّ عددهن كبير وقد شرحت لك الأمور من قبل.»

ومر آدم بأصابعه خلال شعره بطريقة يائسة وهو يقول:

«ان كل واحدة منهنّ تسألني عن أمور في منتهى التفاهة، ليست من اختصاصي على الاطلاق، باختصار إما أنهنّ يتآمرن عليّ وإما لا يقدرن على التصرف في أي شيء.»

وردّت سامانتا في لهجة صادقة:

«من المؤكد أنهنّ لسن كذلك، إنّ الأمر لا يعدو أن يكون مجرّد رغبة منهنّ في اظهار المزيد من المودة.»

فحدّق آدم فيها قائلاً:

«انت لا تعرفين يا عزيزتي الآنسة غولد شيئاً عن هذه الأمور، ولا يمكنك بأي حال من الأحوال أن تقدّري تماماً موقف شاب في مثل سني لم يرتبط بعد.»

وقالت سامنتا في محاولة يائسة لتلطيف الجو:

«حسناً، ربما كانت المدرّسات ترغبن في مناقشة المزيد من التفصيلات بشأن العمل.»

فالتفت اليها آدم وهو يرمقها بنظرة مفعمة بالمعاني وقال:

«اذا كان حقاً ما تقولين، فلماذا تدعوني الآنسة بيلي للذهاب معها الى المسرح

أنا وهي بمفردنا.»

وضرب آدم بقبضته على المكتب وهو يقول:

«تصوّري أنا والآنسة بيلي نذهب الى المسرح معاً!»

وبعد فترة استطرد قائلاً:

«لقد حاولت ان أكون مهذباً معها بقدر الامكان، فتذرّعت بكثرة مشاغلي ولمّا لم أجد وسيلة للتخلص منها، أخبرتها أنني مرتبط بموعد سابق مع فتاة أخرى.»

ورمق آدم سامانتا بنظرة حادة وهو يقول:

«أعرف أنك تعتقدين أنه أمر مضحك للغاية، ولكنه ليس كذلك بالنسبة اليّ، إن كل ما اطلبه هو أن تتاح لي الفرصة لأعمل، وألا يضطرني أحد الى التصرّف بطريقة وقحة، إنه شيء مثير للأعصاب حقاً.»

وجلست سامانتا وقد علا وجهها الوجوم وهي تفكّر فيما قد يحدث خلال المدة المتبقية من الدراسة، وقد حدث ما حدث من مضايقات لآدم خلال عشرة أيام فقط.

وتوقّف آدم عن الحديث، وبدا عليه وكأنه قد فاض به الكيل، وفجأة خطرت على ذهنها فكرة ظنّت أنها قد تكون الحلّ المناسب لهذه المشكلة، ولو أنها بدت فظيعة ولكن سامانتا لم تتردد لحظة فقالت على الفور:

«أنت تعتقد أن السبب في المتاعب التي تصادفك هنا، هو أنك شاب وغير مرتبط، أليس كذلك؟»

«لا أدري تماماً.»

قال آدم ذلك وقد رفع عينيه الى عيني سامانتا، كأنه ينظر الى منقذته، فهزّت سامانتا رأسها وهي تقول في تردد:

«حسناً، أنت تعرف. أنه كلما أسرعت بالارتباط فعلاً بأية فتاة كلما كان ذلك أفضل.»

«أوه!»

صاح آدم وقد بدا عليه الاهتمام ورجع بمقعده الى الخلف وهو ينظر اليها بطريقة مسرحية وقال:

«هذا شيء مسلٍ للغاية.»

وتجاهلت سامانتا ذلك واستمرت في حديثها.

«إذا وضح للجميع أنك مرتبط بفتاة معيّنة، فان الفتيات سيتوقفن عن ملاحقتك.»

«هذا أظرف شيء سمعته في حياتي، ومن هي الفتاة التي تعتقدين أنه يمكنني التظاهر بالارتباط بها، هل هي الآنسة بيلي،أم مدرّسة الموسيقى أم الآنسة ترامب.»

وأخذت سامانتا نفساً عميقاً قبل أن تقول:

«اقترح أن أكون أنا هذه الفتاة.»

«لا!!»

صاح آدم وهو يقوم من مقعده ثم يعود للجلوس مرة أخرى، ثم قال:

«لن يحدث هذا بأي حال من الأحوال.»

فقالت سامانتا:

«ولم لا! إن الأمر يبدو معقولاً تماماً، حيث أنني أعمل معك لفترات طويلة وتأكد أنك ستكون في أمان تام وأنت معي، لأنني لا أنوي الوقوع في حبك.»

وبدا آدم وقد استطاع السيطرة على أعصابه، بعد هذه المفاجأة التي اخرجته الى حدّ ما من حالة الغضب التي كانت تتملّكه، ونظر الى سامانتا قائلاً:

«ما دمنا قد وصلنا الى هذا القدر من الصراحة في حديثنا، أريد أن أعرف لماذا لا تريدين أن تقعي في حبي؟»

فردّت سامانتا وقد قرّرت أن تلتزم الصراحة في حديثها معه:

«لا أريد ذلك لعدّة أسباب، حقاً إنك وسيم وجذّاب وحديثك ممتع في الأحوال

العادية كما انك مدير ممتاز ولكن...»

«ولكن ماذا؟ أريد أن أعرف.»

فنظرت اليه سامانتا وهي تبتسم وقالت:

«ولكنك مغرور وأناني ومتعجرف، أو على الاقل هكذا تبدو لي.»

ووضع آدم ساقاً على ساق وهو يرجع بمقعده الى الخلف وقال:

«وأنت أيضاً يا آنسة غولد أعتقد أنك متعجرفة قليلاً، في أي حال الأمر يبدو معقولاً ولكن...أشعر أنّ هناك شيئاً مريباً.»

«تقصد أنني أحاول أن أنصب لك فخاً، أو أنني أريد الايقاع بك؟ اطمئن تماماً فأنا لم اقترح هذه الفكرة إلاّ لأنها الوسيلة الوحيدة لأبعد عنك المضايقات خلال فترة وجودك بالمدرسة، وتمضي الأمور على ما يرام الى حين عودة السيد بارنز.»

وقال آدم وهو ينظر اليها في سخرية:

«موقف نبيل حقاً وتضحية كبيرة من جانبك بالفعل.»

«والآن ما رأيك في هذه الفكرة؟»

«اعتقد أنها فكرة مقزّزة لا يمكن أن تخطر إلاّ ببال امرأة.»

فوقفت سامانتا وهي تقول ببرود:

«لقد تعبت من هذا الصراع الذي يدور بين الجنسين، هل تريد مساعدتي يا سيد رويل أم لا؟»

وأخذ آدم ينظر اليها وهي تقف في مواجهته بقوامها النحيل وثوبها البسيط وقد عقصت شعرها الى الخلف، ثم وقف واستند بكلتا يديه على المكتب وانحنى قليلاً وهو ينظر اليها قائلاً:

«إنني أوافق على هذه الفكرة، ولكن كيف نبدأ تنفيذها؟»

قال ذلك وهو ينظر اليها نظرة جعلتها تكاد تنهار ولكنها صمّمت على التماسك وقالت:

«أقترح أن ندع الجميع يعتقدون أنني الفتاة التي ارتبطت معها بموعد للذهاب

الى المسرح، واذا أمكننا الذهاب بالفعل فان الأمر سيبدو مقنعاً بالفعل.»

وانحنى لها آدم بطريقة تمثيلية وهو يقول:

«لا يبدو أن أمامي مجالاً للاختيار.»

ثم قال وهي تبتعد عنه متجهة الى الباب:

«هل تحضرين في الثامنة مساء كالمعتاد؟»

فهزّت رأسها بالايجاب وهي تخرج مسرعة من الحجرة.

لقد حدث ما حدث وما عليها إلا الانتظار لمعرفة النهاية.

جلست سامانتا في غرفة مكتبها تفكّر وهي تحدّث نفسها بذلك، ورنّ جرس الهاتف ورفعت السماعة وجاءها صوت أختها ليزا وهي تقول في لهجة ضاحكة:

«أهلاً سام هل أنت بمفردك؟»

وأخذتا تتجاذبان الحديث وطلبت منها ليزا أن تمرّ بها في منزلها قائلة:

«يجب أن تتصلي بي قبل حضورك، فان روبرت لم يعد بعد وربما أخرج لقضاء بعض الأمور.»

ووضعت سامانتا السماعة وهي تشعر بالقلق. لقد تعوّدت ليزا أن تتورّط في متاعب كثيرة قبل زواجها من روبرت بسبب علاقاتها الغرامية. وازداد قلق سامانتا وهي تفكّر في صديق ليزا الذي وجدته جالساً معها، خاصة وأنها تعرف زوجها روبرت ليس من النوع المتساهل.

وفي اليوم التالي ذهبت سامانتا لزيارة العم ادوارد فوجدته قد غادر سريره وجلس في مقعد مريح بجوار النافذة.

وانحنت عليه تقبّله، ثم سحبت مقعداً وجلست الى جانبه وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث. وربّت العم ادوارد على يدها في حنان وهو يسألها:

«كيف تسير الأمور في المدرسة، وهل تمضي الأمور بينك وبين رويل؟ لا بدّ أنه يقدّرك كثيراً فقد أخبرني أنك تساعدينه في المساء.

وأخذ العم ادوارد يسألها عن موقف آدم من التلاميذ، وكيف يتعامل

معهم. وبدا عليه الرضى التام وهو يستمع اليها، وتطرّق الحديث بينهما فسألها إذا كتبت لريتشارد رسالة وتردّدت سامانتا وهي تجيب:

«لم أرسل اليه منذ فترة طويلة فقد كنت مشغولة للغاية خلال الفترة الماضية. ولكنني سأفعل ذلك قريباً.»

كانت سامانتا تشعر أن العم ادوارد يريد أن يحدّثها عن علاقتها بريتشارد ولكنها حاولت أن تغيّر مجرى الحديث وقالت بطريقة حاولت أن تبدو عارضة:

«لقد أخبرتني ليزا أنها التقت بآدم رويل في مباراة للتنس نظّمتها العمة بيتي في المدرسة منذ بضع سنوات.»

وبدا على العم ادوارد وكأنه لا يتذكر شيئاً ثم قال لها وقد تذكر ما حدث أن ليزا حضرت فعلاً الى هذه المباراة وكانت معها صديقة تدعى غيلبان كارترايت.

وكانت سامانتا تريد معرفة المزيد من التفصيلات، ولكنها لم تجرؤ على توجيه الأسئلة. وفي طريق عودتها الى المدرسة مرّت سامانتا بالمسرح في ستراتفورد حيث حجزت تذكرتين وسارت قليلاً على قدميها قرب النهر وهي تراقب البجع يسبح على صفحته وأخذت تسترجع ما قاله العم ادوارد بشأن مباراة التنس، مما يؤكد لها قصة ليزا.

وتوجّهت سامانتا فور عودتها الى حجرة كريستين التي ابتدرتها قائلة:

«أين كنت يا سامانتا ان السيدة كمبل كانت تبحث عنك.»

«ذهبت لزيارة العم ادوارد ولأحجز هذه التذاكر.»

قالت ذلك وهي ترفع التذكرتين في يدها لتراهما كريستين وبعد أن نظرت كريستين اليهما جيداً قالت:

«مكان ممتاز في الصفوف الأولى. لا أعتقد أنك ستذهبين مع إحدى الصديقات.»

«لا بل سأذهب مع آدم رويل نفسه.»

وظهرت الدهشة على وجه كريستين وهي تقول:

«السيد رويل! هذه مفاجأة حقاً، فهمت منك أنك...»

فقاطعتها سامانتا قائلة:

«ليس الأمر كما تظنين، ان المسألة لا تعدو أن تكون خطة دبّرتها وسأحتاج الى مساعدتك.»

وراحت سامانتا تقصّ على كريستين جميع التفصيلات وأظهرت كريستين تفهمها للموقف ولكنها قالت:

«انني ادرك تماماً أن رجلاً مثل آدم رويل بمثل هذه الجاذبية، لا بد وأن يتعرّض لمثل هذه المضايقات، ولكنني لا أشعر بالارتياح يا سامانتا وما زلت أحذّرك. إياك أن تلعبي بالنار.»

وعندما حان موعد العشاء لاحظت أن الجميع بدأوا يتهامسون بقصة ذهابها مع آدم الى المسرح، ولاحظت المدرّسات وهن ينظرن اليها من طرف خفي. قالت بيلي موجّهة الحديث الى سامانتا :

«سمعت انك ستذهبين الى المسرح مع مدير المدرسة لمشاهدة مسرحية ماكبث وسوف نذهب نحن الاثنين الآنسة ترامب وأنا، وستكون مصادفة سعيدة ان نلتقي هناك»

وشعرت سامانتا بشيء من الاعجاب الممزوج بالعطف تجاه الآنسة بيلي لقد صادفت هذه الفتاة الكثير من خيبة الأمل في حياتها وتخطّت الآن الثلاثين من عمرها وقضت شبابها في رعاية والديها المسنين، وبدأ اليأس يتطرّق الى قلبها وهي تبحث عن رجل يحبها.

وعندما ذهبت سامانتا الى غرفة آدم في المساء أخذت تقصّ عليه ما حدث على طاولة العشاء. فقد تناول عشاءه في المكتب حيث كان يعمل. وأخذا يتضاحكان حول هذه القصة وأخيراً استجمعت سامانتا شجاعتها وسألته قائلة:

«ولكن ، هل حقاً تكره النساء الى هذه الدرجة؟»

وابتسم آدم ابتسامة عريضة وهو يجيب:

«ليس هذا صحيحاً فأنا لا أكره النساء، لكنني لا اثق بهنّ فقط.»

وبدا عليه وكأنه لا يريد الخوض في هذا الحديث، فأخرج حافظة نقوده من جيبه ليدفع لها ثمن تذاكر المسرح وأخذ يراقبها لفترة ثم قال:

«آسف يا سامانتا لم أكن أقصدك بهذا لكلام.»

وهزت سامانتا رأسها وهي تقول:

«هذا لا يهم، ولكنني أشعر بالأسف لك وكنت أفكر في أبيات الشعر التي كان العم ادوارد يردّدها دائماً.»

وطلب منها آدم بصوت رقيق أن تسمعه هذه الأبيات. واستجمعت سامانتا ذاكرتها وأخيراً أخذت تردّد أبيات الشعر وهي تنظر الى سقف الغرفة وكانت الأبيات تقول:

رأيت زهورا تنمو في بقاع صخرية،

وأعمالاً مجيدة يقوم بها رجال ذوو وجوه قبيحة،

والكأس الذهبية فاز بها أسوأ الخيول.

وانتظرت سامانتا لحظة، ولمّا لم يعلّق آدم بشيء، غادرت الغرفة وأغلقت الباب وراءها في هدوء.

٧ ـ تلّة العناق

دقّ جرس المدرسة معلناً انتهاء الفترة الأخيرة قبل عطلة نهاية الأسبوع. وسمعت سامانتا وهي تجلس في مكتبها، قرقعة باب قاعة الألعاب الرياضية عند فتحه، وأصوات أقدام التلاميذ في أحذيتهم الرياضية تتدافع على الأرض الخشبية في بهو المدرسة. وأخذت أصوات التلاميذ الصغار تتعالى فيما يشبه الضجة، وأخذت سامانتا تسائل نفسها ماذا حدث حتى يترك تيري ريد مدرّس الألعاب الرياضية التلاميذ هكذا بدون إشراف، لتصل أصواتهم الى غرفة المدير الجديد؟

وقد حدث هذا بالفعل، فقد فتح آدم رويل باب غرفة مكتبه الملحقة به غرفة السكرتارية وهو يتساءل في غضب:

«ما الذي يحدث في الخارج؟ وأين هو تيري ريد؟»

ولمّا لم تكن هذه المسألة تخصّ سامانتا في شيء، فإنها لم ترد على آدم، وبعد لحظة سمع صوت تيري ريد في البهو وهو يأمر التلاميذ بالاصطفاف في الحال وسمع صوته وهو يقول:

«من فتح باب قاعة الألعاب الرياضية قبل أن أصدر أوامري بذلك؟»

ثم سمع صوت صرخة خفيفة كما لو كان أحد التلاميذ قد عوقب، ثم خفّت أصوات التلاميذ وبدا وكأن ريد قد أمكنه السيطرة على الموقف وقاد

التلاميذ الى القاعة.

وقف آدم بباب الغرفة يرهف السمع ولمّا اطمأنّ الى أنّ ريد قد تمكّن من السيطرة على التلاميذ قال:

«يبدو أن ريد قد تمكّن من معالجة الموقف ولذلك فإنني لن أوبخه على ذلك، ولكنني لن أسمح بعد ذلك أبدا بأن تحدث مثل هذه الأمور في المدرسة وخاصة داخل البهو الرئيسي».

ولفّ المكان الصمت من جديد وتوجّه آدم الى مكتبه ولكنه توقف فجأة كمن سمع صوتاً غريباً يأتي من خارج المكتب، فنظر الى سامانتا متسائلاً وهو يقول:

«ما هذا؟ هل هو مواء قطة هل توجد قطط داخل المدرسة؟»

فردّت سامانتا قائلة:

«ربما تكون قطة ضالّة، فقد ماتت القطة العجوز التي كانت في المدرسة العام الماضي».

ثم سمع نفس الصوت مرة أخرى فقال آدم:

«لا نريد قططاً ضالّة في المدرسة».

وفتح آدم باب المكتب وتبعته سامانتا الى الخارج وهما يفتشان عن مصدر الصوت الغريب.

وفجأة سمعت سامانتا صوت آدم الذي كان يبحث في أحد الأركان المظلمة من البهو وهو يسأل في دهشة:

«ما هذا؟ ماذا تفعل هنا يا جيمس؟»

وخرج من أحد أركان القاعة شبح هزيل قصير يرتدي ملابس الألعاب الرياضية وقد وقف يرتعد أمام آدم وعرفت فيه سامانتا جيمس ابن كريستين حكيمة المدرسة.

ثم سمعت سامانتا آدم وهو يسأل في شيء من العطف:

«ماذا بك يا جيمس هل أنت مريض؟»

وردّ في تلعثم بالنفي وهو يحاول ابتلاع دموعه.

«اذاً ماذا تفعل هنا في هذا الركن المظلم من البهو، وأنت ترتدي ملابس الرياضة؟»

وبدا واضحاً أن جيمس كان يحاول الاختباء في أحد الأركان، ولكنها لم تتوقع أن يعترف بذلك لآدم.

«تعال الآن يا جيمس أريد أن أعرف الحقيقة».

وبدا الارتباك والخوف واضحين على جيمس وهو يحاول استجماع شجاعته ثم قال في تلعثم:

«لا بد أنني سقطت على الأرض يا سيدي».

«سقطت على الأرض!»

قال آدم وهو لا يصدّق قول جيمس ثم أضاف:

«تعال يا جيمس لا بد أن تبحث عن قصة أخرى تبرّر بها وجودك هنا؟»

«انني لا أكذب يا سيدي، لقد كنا نركض جميعاً كما ترى، واصطدمت بأحد التلاميذ ثم... ثم... سقطت على الأرض وارتطم رأسي بالحائط وبقيت في مكاني».

ووقف آدم ينظر اليه للحظة ثم سأله:

«هل تعتقد أن أحداً من التلاميذ قد تعمّد دفعك؟»

«لا يا سيدي، لقد سقطت، وهذا كل ما في الأمر».

«حسناً، ولكن هل تشعر بألم؟»

«لا يا سيدي، إنني بخير الآن».

فقال آدم وهو يدفعه برفق:

«اذاً هيا، الحق بزملائك في قاعة الألعاب الرياضية».

وبدا على جيمس التردد للحظة، وبدا كأنه يريد أن يقول شيئاً ولكنه عدل عن رأيه ومشى ببطء متجهاً الى القاعة.

وبعد أن مضى جيمس سأل آدم سامانتا وقد بدا عليه التفكير العميق:

«مسكين جيمس يبدو كالأرنب المذعور، هل هو جديد في المدرسة؟»

«لا إنه ليس جديداً، فقد حضر في الفترة الدراسية السابقة، ولكنني أعتقد أنه لم يتأقلم بعد، فهو تلميذ حسّاس للغاية، وهو ابن كريستين حكيمة المدرسة، أعتقد أنك تعرف ذلك؟»

«نعم أعرف ذلك، وأعرف أيضاً أنّ والدته على وشك الزواج من شخص آخر غير والده، إنني أقدر شعوره فلا بدّ أنه يشعر باضطراب».

ثم أضاف آدم وهو يبتسم:

«الآن بدأت أفهم الوضع، أليست لدى هذا الصغير المسكين أية هوايات، ألا يحب الألعاب الرياضية؟»

«لقد فهمت من كريستين والدته انه لا يحبّ الألعاب الرياضية على الاطلاق، ولكنه يهتم كثيراً بكل ما يتصل بعلم الكيمياء، ولكنه كما ترى ما زال طفلاً صغيراً لا يمكنه دراسة الكيمياء، حتى ينتقل الى الفصل الثاني».

ووقف آدم يحدّق من النافذة لبعض الوقت وقد وضع يديه في جيبي بنطلونه ثم التفت الى سامانتا قائلاً:

«سأحاول التحدّث مع السيد جونز مدرّس العلوم عن جيمس فقد يمكننا السماح له بقضاء بعض وقت فراغه في المعمل لمشاهدة بعض التجارب».

ثم أضاف آدم وقد بدا الحزن على وجهه:

«انني لا أحب رؤية أحد الأطفال يبدو تعيساً كما يبدو هذا المسكين الآن».

وكان آدم يتحدّث في لهجة من يعرف تماماً معنى أن يكون الطفل تعيساً. ولأول مرّة وجدت سامانتا نفسها تتساءل عن طفولة آدم رويل وعلاقته بأسرته.

وبعد فترة قصيرة، استعاد آدم طبيعته كمدير للمدرسة وسأل سامانتا:

«أعتقد انه ليست لديّ فصول دراسية بعد ظهر اليوم، فهل هناك شيء ملّح يحتاج الى أخذ رأيي فيه، أو أيّ ارتباطات أخرى أو مقابلات؟»

ونظرت سامانتا في المفكّرة الموضوعة على المكتب قبل أن تجيب بالنفي. فقال آدم في سخرية:

«يبدو واضحاً أن مؤامرتك قد نجحت بالفعل».

ولم تعجب سامانتا بهذه اللّهجة الساخرة التي يتحدث بها آدم، ولكنّها لم تهتم فقد كانت تدرك أنّ آدم يعتقد أن جميع النساء متآمرات، وما هي بالنسبة إليه إلاّ امرأة كغيرها من النساء، ولا بدّ أنه يعتقد أنّ فكرة إيهام الجميع بارتباطه بها، لم تكن أنيّة بل ربما تكون قد خطّطت لها من قبل. فأغلقت المفكرة ووضعتها في مكانها على المكتب وهي تقول في برود:

«حسناً، هذا ما كنّا نسعى اليه أليس كذلك؟»

فابتسم آدم ابتسامة غامضة وهو ينظر اليها قائلاً:

«حقاً، هذا ما كنّا نريده تماماً، والآن سأكافئك على نجاح مؤامرتك، فأدعوك الى الخروج معي بعد ظهر اليوم، فانا بحاجة الى بعض الأوراق الخاصة بأبحاثي، وأعتقد أنني سأجدها مع أوراقي الأخرى التي تركتها في كوخي، فهل توافقين على الذهاب معي الى كوست وولدز يا سامانتا؟»

ونظرت سامانتا عبر النافذة، كان الجو جميلاً وقد ازدهرت الأشجار، وبدت السماء صافية وأحسّت برغبة في الخروج فوافقت على الذهاب معه.

فقال:

«حسناً هل تقومين بتوصيلي بسيارتك، فإنّ سيارتي بالكاراج حيث تجرى بها بعض الاصلاحات».

وشعرت سامانتا بنوع من الاحباط وهو يقول ذلك فقالت:

«يمكنك أن تستخدم السيارة بدون الحاجة الى صحبتي».

ونظر اليها آدم لحظة ثم ردّد في صوت هادىء:

«لقد طلبت منك أن توصليني بالسيارة، هل يمكنك ذلك؟»

«بالطبع يمكنني ذلك اذا كنت تثق في قيادتي».

فنظر إليها طويلاً قبل أن يقول:

«ربما أريد أن أعرف ما إذا كانت مهارتك في القيادة على مستوى مهاراتك الأخرى، والآن بلّغي السيد جونز بأن يتولىّ الاشراف بدلاً مني الى حين عودتنا، وسنذهب فور استعدادك، وقد نتناول غداءنا في الطريق».

وبعد أن أبلغت السيد جونز برسالة آدم أسرعت الى غرفتها وبدّلت ثيابها ووضعت ثوباً رقيقاً للصباح أزرق اللون. كان آدم ينتظر الى جانب السيارة عندما غادرت سامانتا المدرسة وقد بدّل ملابسه أيضاً وتساءل وهما يركبان السيارة:

«أيّ طريق تفضلين أن نسلك؟ ربما كان الطريق عبر برودواي على التلال أطول قليلاً. ولكننا لسنا على استعجال».

وجلسا في السيارة الصغيرة وكانت تشعر بجسد آدم قريباً منها نظراً لضيق المقعد، وكانت يدها تلمس ركبته عند كل انحناءة للسيارة. وعلى الرغم من أنها كانت تشعر أن عيني آدم تتفحصانها، إلاّ أنها حاولت التركيز على القيادة وهي تشعر بنوع من الاسترخاء. وكانت أشعة الشمس الدافئة تنعكس على ذراعها العاري وشعرها يتطاير مع النسيم الخفيف الذي يدخل عبر النافذة، وقد امتلأت السيارة بشذى الأزهار المتفتحة.

وتنهّدت سامانتا بارتياح وهي تنطلق بالسيارة وقالت في سعادة:

«أليس الجو جميلاً اليوم؟»

وردّ آدم موافقاً على كلامها ولكنه لم يكن ينظر من النافذة، فقد كان يثبت عينيه السوداوين على وجه سامانتا.

وسألها آدم:

«هل تحبّين القيادة؟»

«نعم، كان شيئاً مثيراً للغاية أن أحصل على سيارة خاصة بي. وقد درّبني ريتشارد بارنز على القيادة خلال وجوده هنا في العطلة الماضية، فهو مدرّب ممتاز».

وردّ آدم في صوت بدا جافاً:

«حقاً!!»

وساد الصمت بينهما بعد ذلك حتى بداية الطريق الى برودواي، فنزلا من السيارة ليتناولا بعض الشطائر واقترحت سامانتا وهما يعودان الى السيارة أن يتبادلا مقعد القيادة.

وجلس آدم خلف عجلة القيادة وهو يبحث عن حزام الأمان فلمست يده ركبتها فأحسّت بالدماء تندفع الى وجهها وهي لا تدري ما إذا كان قد فعل ذلك عن قصد.

ونظر اليها آدم نظرة جانبية وهو يقول:

«لا داعي للانزعاج يا سامانتا فأنا لم أتعمّد ذلك».

وشعرت بالحرج فقد كانت لدى آدم قدرة عجيبة على قراءة أفكارها. وتمنّت لو أنها لم توافق على الخروج معه فهي تعتقد أن وقاحته تجاوزت الحد.

وأشاحت سامانتا بوجهها بعيداً عنه، وأخذت تنظر من النافذة فسمعته يقول لها:

«لا داعي لأن تستشيطي غضباً يا سامانتا، ليس في هذا اليوم الجميل، أؤكد لك أن نواياي تجاهك نبيلة على الرغم من أنّ ذلك صعب جداً مع فتاة في مثل جمالك».

وانطلق آدم بالسيارة وأخذ يشرح لها معالم الطريق وهما يعبران برودواي التي تعتبر من أجمل المناطق في الريف البريطاني. لونسيت سامانتا تماماً أن الرجل الذي يجلس الى جانبها، هو آدم بجاذبيته التي لا تقاوم وأخذا يتحدثان عن التاريخ والأزمان الماضية حيث كانت المراعي منتشرة

في كل مكان في انكلترا.

وانطلقت السيارة تصعد بهما التلال. وبعد بضعة أميال وصلا الى نهاية الطريق الرئيسي، ودخلا في شارع ضيق يتجه الى أعلى التل.

ونظرت سامانتا حولها، كان المنظر رائعاً حقاً من هذا الارتفاع فهتفت قائلة:

«أشعر وكأنني فعلاً فوق قمة العالم».

وأخذت تنظر عبر النافذة الى المراعي الخضراء التي تتناثر عند سفح التل، وظهرت الماشية وقد تضاءل حجمها لتصبح مجرد نقاط بيضاء صغيرة وسط هذه الخضرة المترامية، وظهرت المنازل والطرقات وقد اختفت وراء غلالة رقيقة من الضباب.

وتوقّف آدم بالسيارة أمام كوخ صغير من الحجارة، وشعرت سامانتا وهي تنظر اليه وسط هذا المنظر الرائع وكأنها في حلم ضبابي.

وقال آدم بفخر وهو يشير الى الكوخ:

«هذا هو كوخي هل يعجبك؟»

وقفزت سامانتا من السيارة في انفعال طفلة صغيرة وهي تهتف قائلة:

«إنه رائع، وأتوق الى رؤيته من الداخل»

وأخذ آدم يشرح لها وهما في طريقهما الى الداخل كيف أنه اشترى الكوخ من أحد الأصدقاء الذي كان قد اشتراه بدوره من أحد الرعاة.

واتجّها الى غرفة الجلوس التي كانت تستخدم أيضاً كمكتبة، وقد امتلأت بأرفف الكتب في كل مكان. وكان بالغرفة طاولة بيضاوية من خشب البلوط ومكتب صغير وعدد من الكراسي المريحة.

وفتح آدم النافذة على مصراعيها فامتلأت الحجرة بالهواء الرطب النقي فنظرت سامانتا الى آدم وهي تقول:

«الآن أعرف لماذا لا تستطيع التأقلم بسهولة مع جو المدرسة».

«ليس هذا تماماً، ولكنني لا أحب أن أقوم بدور الرجل المسؤول فهذا يضعني في

مواقف تزعجني».

وسكت قليلاً ثم قال:

«ولكنني أشعر بالأمان وأنت معي، أليس كذلك يا سامانتا؟»

وردّت سامانتا وقد شعرت برنّة السخرية في صوته:

«في أمان تام!»

والتقت نظراتهما في صمت للحظة ثم اتجه آدم الى المكتب وهو يقول:

«حسناً، سنعلن الهدنة بيننا لبقية اليوم. والآن يمكنك أن تسرّي عن نفسك قليلاً ريثما أقوم أنا بأبحاثي، وربما احتاج لمساعدتك بعد ذلك»

وتركت سامانتا آدم ينهمك في عمله، وأخذت تتجوّل في أنحاء الكوخ الذي كان مؤثثاً بطريقة بسيطة، وقد ألحق به مطبخ على الطراز الحديث وامتلأ بجميع أنواع المعلّبات.

وأخذت سامانتا تحدّث نفسها بأن آدم لا بد وأن يكون مدركاً تماماً لجميع الاحتياجات المنزلية، أو ربما كانت استيل هي التي تقوم بشراء احتياجاته.

ووجدت نفسها تستعيد ذكريات ذلك اليوم الذي أحضر آدم فيه استيل الى المدرسة، ألم يقض الليلة التي سبقتها في الكوخ؟ ربما لم يقضها وحده، ولكنها طرحت هذه الأفكار جانباً، فلا شأن لها بحياته الخاصة، ومن الطبيعي أن تكون له علاقات ببعض الفتيات في حياته، وان لم يرق له أن يتزوج أيا منهن، وربما تصلح استيل نورتون لمثل هذا الموقف، ولكن سامانتا كانت تريد أن تتمتع بحرّيتها الشخصية كآدم نفسه، وعند هذا الحد نفضت عن نفسها التفكير في آدم واستيل نورتون.

واتجهت الى الباب الخلفي حيث كانت توجد الحديقة الخلفية وقد أحاط بها سور حجري قديم. ونفذت سامانتا من فتحة السور وتسلّقت التل حيث جلست فوق قمّته تنظر الى الكوخ وشردت بأفكارها بعيداً.

وجاءها صوت آدم لينتزعها من أفكارها، وسمعته يقول وهو يصعد التل في طريقه الى مكانها:

« سامانتا، لقد وجدت ما كنت أبحث عنه في المخطوطات والآن أشعر برغبة مفاجئة في العمل، هل تمانعين في البقاء قليلاً؟»

«الأمر متروك لك، فأنت الرئيس».

وابتسم آدم وهو يقول مازحاً:

«هذا هو الكلام الذي أحب أن أسمعه».

قال ذلك وهو يسخر من منطقها ربما أن فكرة عداوته للمرأة لم تكن بالجدّية التي تصوّرتها.

وقالت سامانتا وهما يهبطان التل:

«يمكنك الاتصال بالسيد جونز لتبلغه أننا قد نتأخر قليلاً».

«لا بدّ أنك تمزحين، هل تعرفين كم يكلّفني ذلك في هذا المكان؟ في أي حال لقد اشتريت هذا الكوخ لأبتعد تماماً عن جميع المضايقات بما في ذلك مضايقات الهاتف».

وكان التل منحدراً بشدّة بالقرب من الكوخ، وتعثّرت قدم سامانتا وكادت تسقط فاندفع آدم ليحيطها بذراعه بقوة ليمنعها من السقوط وظلاّ هكذا حتى وصلا الى أسفل التل.

كان من الواضح ان آدم يحاول أن يكون مهذباً معها، ملتزماً بالهدنة المعلنة بينهما طوال ذلك اليوم، وشعرت سامانتا بالارتياح لذلك وفارقها لفترة شعورها بالتوتر والترقّب.

وجلس آدم يعمل وسامانتا تساعده في تلخيص الأوراق واستغرقها العمل تماماً وتنبّها الى أن الساعة قد جاوزت السابعة مساء.

وأخذ آدم يعبث بأصابعه في شعره وقال وهو يرجع بمقعده الى الخلف:

«هذا أفضل ما أنجزته من عمل حتى الآن».

ثم قال:

«دعينا الآن نأكل شيئاً فإنني أكاد أموت جوعاً».

واتجهت سامانتا الى المطبخ وهي تؤكد كلامه، واختارت بعض المعلّبات وبدا لها آدم في صورة لم ترها من قبل متدفقاً بالحياة بطريقة صبيانية وهو يستحثها أن تحضرّ الطعام.

وجلسا يتناولان الطعام وهما يتجاذبان أطراف الحديث، مضى الوقت سريعاً. وقد انطلقت سامانتا تضحك في سعادة غامرة.

وبينما هي ترفع بقايا الطعام ألقت نظرة من النافذة فرأت سحابة من الضباب الأسود الكثيف وقد بدأت تنتشر فوق المكان، فقالت لآدم وهي تحاول إخفاء قلقها الشديد:

«أعتقد أنه يجب علينا العودة سريعاً فقد بدأ الضباب يزحف على المكان».

وردّ آدم قائلاً:

«لا تخشي شيئاً، فإن هذا يحدث دائماً في هذه المنطقة وأنا أعرف طريقي جيداً».

كانت سامانتا تشعر بخوف شديد من الضباب، منذ أن ضلّت طريقها في الغابة التي يسودها الضباب وهي طفلة صغيرة. فبدا القلق واضحاً على وجهها وهي تستحثّ آدم العودة الى المدرسة.

ولمعت عينا آدم وهو يقول لها:

«ماذا حدث يا سامانتا؟ هل تخشين أن نضطر الى البقاء هنا بمفردنا فترة الليل؟»

ولما لم تكن سامانتا تحبّ شرح حقيقة شعورها له، فقد أشاحت بوجهها.

فقال آدم:

«مسكينة أنت يا سامانتا إنك لا تحبّين المزاح أبداً»

ثم وضع الأوراق في مكانها على الرف، واتجه معها الى الخارج ليستقلاّ السيارة.

وجلس آدم خلف عجلة القيادة وجلست سامانتا بجواره وهي تنظر الى

الكوخ خلفها، وتتمنّى لو أمكنها العودة اليه مرّة أخرى ولم تتنبّه الى المحاولات التي كان يبذلها آدم لادارة السيارة بدون جدوى.

ونزلت سامانتا من السيارة لتفتح لآدم غطاء المحرك وبعد أن كشف عليه عاد آدم إليها وأطلّ برأسه الى الداخل وقد اكتسى وجهه بتعبير قاس وهو يقول:

«هل يمكن أن يكون هذا متعمّداً يا سامانتا؟»

وشعرت سامانتا بقلبها يغوص بين قدميها وهي تسأل في تلعثم عمّا حدث.

فأجاب آدم باقتضاب بأن الوقود نفذ.

وبدا على سامانتا أنها تذكّرت شيئاً فجأة وهي تقول:

«يا إلهي. إنني آسفة كنت أنوي أن أملأ خزان الوقود ولكنني نسيت».

«تنسين وأنت تعرفين أننا سنذهب الى مثل هذا المكان المقفر».

وأخذت سامانتا تعتذر في اضطراب شديد، ولكن راعها أن يعتقد آدم أنها فعلت ذلك عن قصد. ولكنه بدا مقتنعاً تماماً بذلك وهو يقول في سخرية لاذعة:

«كنت أعتقد أن الرجل هو الذي يلجأ الى هذه الحيلة في مثل هذه المواقف».

ونظرت سامانتا إليه في ذهول وقد أدركت تماماً معنى كلماته، واجتاحها غضب لم تشعر بمثله من قبل وهي تنفجر قائلة:

«كيف تجرؤا»

ثم ارتفعت يدها بدون وعي منها لتستقر في صفعة قوية على وجه آدم، ثم اندفعت تهبط التل وهي تجري والدموع تتسابق على وجنتيها. واستمرّت لمسافة طويلة قبل أن يتمكن آدم من اللحاق بها، وأحاطها بذراعيه بقوة ليمنعها من الاستمرار في الجري، وحاولت التملّص منه ولكن آدم جذبها بقوة لتصبح في مواجهته ونظر الى عينيها وهو يلهث ويقول:

«الى أين تظنين أنك ذاهبة؟»

«الى أي مكان بعيداً عنك».

وأضافت وهي تنظر اليه وقد امتلأت عيناها بالدموع:

«كفاني ما تحمّلت منك حتى الآن من وقاحة وشكوك».

وطال وقوفهما وآدم ممسك بذراعها. ثم جذبها اليه بقوة وأطبق عليها في عناق طويل امتزج فيه الغضب بالعاطفة.

وعندما رفع آدم وجهه شعرت سامانتا بجسدها كله يرتعش، وانتابها شعور غريب لم تعرفه أبداً من قبل.

وأخذ آدم نفساً عميقاً وهو يقول:

«أعتقد ان هذا كان لا بدّ أن يحدث في أي وقت».

«ولكن هذا لن يحلّ المشكلة فان علينا أن نعود الى المدرسة».

ثم التفت اليها قائلاً:

«هل تدركين ما قد يحدث لو قضينا الليل هنا بمفردنا في الكوخ؟»

وبدا وكأنها قد فقدت القدرة أيضاً على التفكير فقالت:

«أعتقد أنه سيثير التقوّلات في المدرسة».

فلوى آدم شفتيه وهو يقول:

«أنا لا أعني المدرسة، المهم يجب أن نصل الى ستو بأي طريقة حيث يمكننا من هناك أن نجد سيارة توصلنا الى المدرسة».

قال آدم ذلك وهو يدفعها أمامه في طريق العودة.

وعندما وصلا الى المدرسة كانت الساعة قد أوشكت على العاشرة ووجدت سامانتا كريستين في انتظارها التي نظرت الى وجهها فوجدته شاحباً مرهقاً فصحبتها الى غرفتها حيث قدّمت لها فنجاناً من الشاي المركز وهي تقول:

«اشربي هذا فإنك تبدين مرهقة تماماً».

وأخذت سامانتا الفنجان وهي تقول:

«كانت المسافة التي قطعناها سيراً على الأقدام طويلة جداً».

كانت سامانتا في حاجة شديدة الى النوم بعد التجربة العاطفية العنيفة التي تعرّضت لها، وما أعقب ذلك من مجهود شاق في طريق العودة. فصعدت الى غرفتها وحاولت النوم ولكنّها لم تستطع، وقضت ليلها مؤرقة وهي تفكر فيما سيكون عليه موقف آدم منها في الصباح. هل سيكون غاضباً منها أم أنه بعد تفكير سيجد أنه كان قاسياً معها، وأنها لم تتعمّد بالفعل عدم مل' خزان السيارة بالوقود. وارتعدت سامانتا وهي تتذكّر الموقف العنيف الذي كان بينها وبين آدم وما أثارته فيه من غضب عنيف، ولكنها على الأقل استطاعت من خلال هذه التجربة، أن تكتشف وهي بين ذراعي آدم فوق التل، انها ليست فتاة متبلّدة المشاعر كما كانت تعتقد دائماً من قبل. ولم تكن سامانتا تعرف ما اذا كانت تحب آدم حقاً! حتى لو كانت لا تحبه كما كانت تؤكّد لنفسها، فإنه بجاذبيته التي لا تقاوم ورجولته، استطاع أن يحرّك في داخلهامن العواطف ما لم تعرفه من قبل طوال حياتها. وحدّثت سامانتا نفسها بانه يجب عليها التزام الحذر تماماً في علاقتها مع آدم خلال الفترة الباقية من هذه الدورة الدراسية.

ولكنّها وجدت قلبها يدقّ بعنف عندما دخل آدم الى الغرفة ووقف قبالتها وهي تجلس الى المكتب وقالت من دون أن ترفع عينيها الى وجهه:

«صباح الخير».

فردّ في لهجة جادة:

«صباح الخير. هل لديّ ارتباطات اليوم؟»

وفتحت سامانتا المفكّرة الموضوعة على المكتب ونظرت فيها وهي تقول:

«سيحضر السيد والسيدة غريغوري لمقابلتك في الساعة العاشرة والنصف».

«لماذا، هل لديك أية فكرة؟»

«لقد كتبا يشرحان شعورهما بالقلق بشأن عدم تفهّم يتز للرياضيات ويودّان مناقشة هذه المسألة معك بوصفك المدير الجديد للمدرسة».

«آه...نعم، إنني أتذكر الآن. أرجوك استدع السيد جونز فإنني أريد الاستعانة

برأيه في هذه المسألة، كما أنني في حاجة الى رؤية التقارير الخاصة بهذا التلميذ للفترات الدراسية السابقة، وماذا بعد هل هناك شيء آخر؟»

«نعم، سيحضر بعض أولياء أمور التلاميذ الجدد ليتفقّدوا المدرسة فهل ستصحبهم أنت في جولتهم؟»

ونظرت سامانتا الى أعلى فلم ترَ سوى طرف الروب الجامعي الأسود الذي يرتديه آدم ولا تدري لماذا شعرت في هذه اللحظة، وكأن آدم يرتدي ثوباً جنائزياً أسود يودع به اللحظات الجميلة، التي قضياها معاً في الكوخ معلناً بذلك انتهاء فترة التفهّم الذي بدأ يسود بينهما.

ثم ردّ آدم قائلاً:

«نعم سأصحب أولياء الأمور في تجوالهم في أنحاء المدرسة، ولكن أرجوك أن تعملي على استضافتهم في مكتبك حتى أنتهي من مقابلتي مع السيد والسيدة غريغوري، هل من شيء آخر؟»

«لا، ليست هناك أية ارتباطات أخرى، ولكنك وعدت بمشاهدة مباراة الكريكيت التي تقام بعد ظهر اليوم في فناء المدرسة».

وتذكّرت سامانتا في هذه اللحظة موعد ذهابهما معاً الى المسرح الذي من المفروض أن يكون هذا المساء، ولكنها لم تجرؤ أن تسأل آدم إذا كان يتذكّر هذا الموعد أم لا.

«حسناً، سأتصفّح البريد قبل حضور آل غريغوري».

وتلاحقت ساعات الصباح وقد اتسم سلوك آدم معها بالجدّية التامة، وبدا واضحاً لسامانتا أن آدم يريد أن يشعرها بطريقة غير مباشرة بأن كل ما حدث بينهما أمس في الكوخ، يعتبر أمراً غير ذي بال بالنسبة له.

وبينما كانت سامانتا تشرب فنجاناً من القهوة دخلت كريستين الى المكتب وهي تحمل بعض الشطائر التي وضعتها أمام سامانتا قائلة:

«لقد أحضرت لك بعض الطعام، فقد فاتك موعد الافطار».

فردّت سامانتا في لهجة حاولت أن تبدو مرحة:

«يبدو أنني استغرقت تماماً في النوم بعد كل هذا العناء الذي صادفته في تسلق التلال والمشي».

ولكن كريستين نظرت اليها في تشكك وهي تقول:

«ولكن يا سام هل أنت متأكدة أنك بخير؟ لقد كان منظرك فظيعاً عندما عدت الى المدرسة ليلة أمس».

«لا تقلقي عليّ فأنا بخير».

وكانت سامانتا لا ترغب الخوض في حديث مع كريستين عن أحداث الليلة الماضية فحاولت أن تحوّل مجرى الحديث وقالت:

«على فكرة يا كريستين لقد تلقيت رسالتين من فتاتين، بشأن الاعلان الخاص بطلب موظفين للمدرسة، وستحضر إحداهما صباح الأربعاء القادم أما الأخرى فستحضر في المساء. وأعتقد انه سيكون عليك مقابلتهما معي، فكما تعرفين ستحلّ إحدى الفتاتين مكانك في العمل بعد زواجك».

فقالت كريستين:

«أمل أن تكون إحدى الفتاتين على الأقلّ، مناسبة لهذا العمل ويمكنها تسلّم وظيفتها فوراً. فقد أضطر الى مغادرة المدرسة قبل انتهاء هذه الفترة الدراسية».

«هل تحدّد موعد زواجك من هيغ؟»

«لقد تحددّ الموعد مبدئياً في الثالث عشر من شهر حزيران أي بعد شهر تقريباً، مما يتيح لنا الفرصة لنجد بديلة تحلّ مكاني حتى لا أسبّب أية متاعب بالنسبة للمدرسة».

ثم استطردت كريستين:

«نسيت أن أخبرك يا سام لقد قابلت السيد جونز في الصباح وأخبرني أنه سيسمح لجيمس بمشاهدة بعض التجارب التي تجري في المعمل. أليس هذا لطيفاً منه؟»

وردّت سامانتا بالايجاب وهي متعجبة لأن السيد جونز لم يذكر لكريستين أن آدم رويل هو الذي اقترح عليه هذه الفكرة، وربما يكون آدم قد طلب اليه ذلك.

وأضافت كريستين:

«إنني أشعر براحة كبيرة لذلك، فان اهتمام جيمس بأي شيء سيساعده كثيراً في هذه الفترة من حياته، عندما أتركه لأسافر مع هيغ في رحلة شهر العسل الى ايطاليا. انني أشعر بقلق شديد تجاه جيمس وأمل أن يتمكّن من التغلب على هذا الموقف الجديد بدون أن يحدث ذلك أي أثر في نفسه. إنّ جيمس كما تعلمين حسّاس للغاية ولا يمكن أبداً أن أعرف شيئاً عن أفكاره أو انفعالاته فهو يفضّل الاحتفاظ بها لنفسه».

واغرورقت عينا كريستين بالدموع وهي تضيف قائلة:

«أليس من المخجل حقاً أن يبني إنسان سعادته على أنقاض سعادة إنسان آخر! إنني أعرف أنّ زواجي سيعود بالفائدة على جيمس ربما على المدى البعيد، ولكنه على الأرجح لن يتقبّل هذا الأمر ببساطة على الأقل الآن».

ونظرت كريستين الى سامانتا في توسّل وهي تقول:

«أرجوك يا سام الاهتمام به بعد ذهابي، لا أعني أن تدلّليه ولكن كل ما أطلبه منك هو أن يكون بخير دائماً».

«بالطبع سأعمل على ذلك يا كريستين فاطمئني».

وكانت سامانتا تشعر أن آدم أيضاً سيعامل جيمس بعطف وحنان بعد ما رأت موقفه منه في البهو، لكنها لم تقل ذلك لكريستين.

وبدا على كريستين أنها لا تستطيع التغلّب على انفعالاتها، وهي تشكر سامانتا على وعدها بالاهتمام بجيمس في غيابها، ثم حولت مجرى الحديث وقالت:

«والآن ماذا عن أخبارك يا سام، وكيف ستحضرين سيارتك؟».

ونظرت اليها سامانتا في بلاهة وهي تقول:

«تصوّري لم أفكّر في هذا الأمر».

ثم مرّت بيدها على جبهتها وهي تقول:

«لا أدري ما الذي أصابني اليوم».

«هل يمكنني مساعدتك؟ فليس لديّ ما يشغلني بعد ظهر اليوم وسأتوجّه الى أوكسفورد لمقابلة هيغ، ويمكنني أن أوصلك الى ستو في طريقي لتحضري السيارة».

«شكراً يا كريستين تبدو فكرة معقولة».

ثم بدا عليها وقد تذكّرت شيئاً.

فجأة فقالت وهي تهزّ رأسها في يأس:

«ولكن، من المفروض أن أذهب الى المسرح مساء اليوم في ستراتفورد بصحبة آدم رويل، ولو أنني لا أعرف ما إذا كان راغباً في الذهاب معي فإنه كان غاضباً منّي أمس».

وقطّبت كريستين وهي تقول:

«أعتقد...»

ولكنّها لم تكمل حديثها فقد فتح باب غرفة المدير في هذه اللحظة وسمع صوت آدم وهو يودع آل غريغوري قائلاً:

«أرجو ان تطمئنّا تماماً. فسأبذل كل جهدي لمساعدة بول».

وبعد ذلك خرجت كريستين من الغرفة.

وقضى آدم بقية الصباح في اجتماعات مع أولياء أمور التلاميذ، مما أتاح لسامانتا الوقت الكافي لنسخ الأوراق التي أملاها عليها أثناء وجودها في كوخه. وحاولت سامانتا التركيز في عملها ولكن صورة آدم كانت تلحّ على ذهنها، ولم تفارقها للحظة وهي تقوم بالطباعة، وأخذت تسترجع في مخيّلتها صورة آدم وهو يبحث في الكتب، وهو يملي عليها مذكراته وقد أغمض عينيه قليلاً

وردّت سامانتا بالايجاب وهي متعجبة لأن السيد جونز لم يذكر لكريستين أن آدم رويل هو الذي اقترح عليه هذه الفكرة، وربما يكون آدم قد طلب اليه ذلك.

وأضافت كريستين:

«إنني أشعر براحة كبيرة لذلك، فان اهتمام جيمس بأي شيء سيساعده كثيراً في هذه الفترة من حياته، عندما أتركه لأسافر مع هيغ في رحلة شهر العسل الى ايطاليا. انني أشعر بقلق شديد تجاه جيمس وآمل أن يتمكّن من التغلب على هذا الموقف الجديد بدون أن يحدث ذلك أي أثر في نفسه. إنّ جيمس كما تعلمين حسّاس للغاية ولا يمكن أبداً أن أعرف شيئاً عن أفكاره أو انفعالاته فهو يفضّل الاحتفاظ بها لنفسه».

واغرورقت عينا كريستين بالدموع وهي تضيف قائلة:

«أليس من المخجل حقاً أن يبني إنسان سعادته على أنقاض سعادة إنسان آخر؟ إنني أعرف أنّ زواجي سيعود بالفائدة على جيمس ربما على المدى البعيد، ولكنه على الأرجح لن يتقبّل هذا الأمر ببساطة على الأقل الآن».

ونظرت كريستين الى سامانتا في توسّل وهي تقول:

«أرجوك يا سام الاهتمام به بعد ذهابي، لا أعني أن تدلّليه ولكن كل ما أطلبه منك هو أن يكون بخير دائماً».

«بالطبع سأعمل على ذلك يا كريستين فاطمئني».

وكانت سامانتا تشعر أن آدم أيضاً سيعامل جيمس بعطف وحنان بعد ما رأت موقفه منه في البهو، لكنها لم تقل ذلك لكريستين.

وبدا على كريستين أنها لا تستطيع التغلّب على انفعالاتها، وهي تشكر سامانتا على وعدها بالاهتمام بجيمس في غيابها، ثم حولت مجرى الحديث وقالت:

«والآن ماذا عن أخبارك يا سام، وكيف ستحضرين سيارتك؟».

ونظرت اليها سامانتا في بلاهة وهي تقول:

«تصوّري لم أفكّر في هذا الأمر».

ثم مرّت بيدها على جبهتها وهي تقول:

«لا أدري ما الذي أصابني اليوم».

«هل يمكنني مساعدتك؟ فليس لديّ ما يشغلني بعد ظهر اليوم وسأتوجّه الى أوكسفورد لمقابلة هيغ، ويمكنني أن أوصلك الى ستو في طريقي لتحضري السيارة».

«شكراً يا كريستين تبدو فكرة معقولة».

ثم بدا عليها وقد تذكّرت شيئاً.

فجأة فقالت وهي تهزّ رأسها في يأس:

«ولكن، من المفروض أن أذهب الى المسرح مساء اليوم في ستراتفورد بصحبة آدم رويل، ولو أنني لا أعرف ما إذا كان راغباً في الذهاب معي فإنه كان غاضباً مني أمس».

وقطّبت كريستين وهي تقول:

«أعتقد...»

ولكنّها لم تكمل حديثها فقد فتح باب غرفة المدير في هذه اللحظة وسمع صوت آدم وهو يودع آل غريغوري قائلاً:

«أرجو ان تطمئنّا تماماً. فسأبذل كل جهدي لمساعدة بول».

وبعد ذلك خرجت كريستين من الغرفة.

وقضى آدم بقية الصباح في اجتماعات مع أولياء أمور التلاميذ، مما أتاح لسامانتا الوقت الكافي لنسخ الأوراق التي أملاها عليها أثناء وجودها في كوخه. وحاولت سامانتا التركيز في عملها ولكن صورة آدم كانت تلحّ على ذهنها، ولم تفارقها للحظة وهي تقوم بالطباعة، وأخذت تسترجع في مخيّلتها صورة آدم وهو يبحث في الكتب، وهو يملي عليها مذكراته وقد أغمض عينيه قليلاً

لتلامس رموشه الطويلة وجنتيه، وكانت سامانتا تشعر وهي تقرأ ما كتبته بنفس الاثارة التي شعرت بها وآدم يملي عليها هذه الأوراق.

واستغرقت سامانتا في التفكير تماماً حتى أنها لم تشعر بدخول آدم الى الغرفة وانتبهت فجأة الى صوته يأتي من خلفها وهو يقول:

«لقد رن جرس الغداء، ألم تسمعيه؟»

وانتفضت سامانتا والتفتت اليه بسرعة وهي تقول في تلعثم:

«لا، لم أسمعه، إنني...»

وتوقّفت عن الكلام فقد شعرت بقلبها يدقّ بعنف كما يحدث دائماً عندما يدخل آدم الى الغرفة فجأة، وكانت سامانتا تحاول إقناع نفسها بأنّ ذلك ربما يعود الى شعورها برجولة آدم فقط وليس لأنها تحبّه، ولكن يجب عليها التغلّب على مشاعرها مهما كانت.

وقال آدم وهو ينظر الى آلة الطباعة أمامها:

«أرى أنك تقومين بنسخ أوراقي، وأرجو أن لا تغفلي عن شيء قد يكون مهماً، على الأقل بالنسبة إليّ».

ثم توقّف قليلاً وهو يضيف:

«أعرف أنها ليست كذلك بالنسبة إليك، وخاصة بعد الطريقة السخيفة التي تصرّفت بها معك أمس».

ولمّا لم ترد سامانتا استطرد قائلاً وهو ينحني عليها:

«انني أسف يا سام عما بدر مني أمس، هل تغفرين لي؟»

ولم تدر سامانتا ماذا يقصد بالغفران! هل يعني ان تغفر له شكوكه فيها أم عناقه ولكنّها ردّت بالايجاب، فأياً كان الأمر فما يهم الآن هو الود الذي اتصلّ بينهما من جديد

وقال آدم:

«إنك لطيفة للغاية يا سام، كيف أعرف انك لن... ولكن... حسناً... فلندع الحديث في هذا الموضوع الآن».

قال ذلك وهو يضع أمامها على المكتب مفاتيح السيارة. فقالت سامانتا:

«إن كريستين ستذهب الى أوكسفورد بعد ظهر اليوم وقد وافقت على ان توصلني الى ستو لأحضر السيارة».

ولكنّ آدم قاطعها قائلاً:

«ان السيارة بالخارج، فقد وصلت منذ بضع دقائق فقط».

وحملقت سامانتا في وجهه وهي تقول:

«لم أفهم... كيف؟»

«لقد اتفقت مع الكاراج في ستو على إحضارها الى هنا وكان هذا أقل ما يمكن أن افعله... في أيّ حال سنحتاج الى سيارة الليلة للذهاب الى المسرح في ستراتفورد وسيارتي كما تعرفين لم أتسلّمها بعد، متى نذهب؟ هل نذهب في السادسة والنصف؟»

وهزّت سامانتا رأسها وهي تردّد قوله:

«في السادسة والنصف».

ودخل السيد جونز الى الغرفة في هذه اللحظة وخرج مع آدم وهما يبحثان مشكلة بول.

وجلست سامانتا في كرسيها وقد شعرت براحة كبيرة، وتنفّست بعمق وهي تفكّر في أن التعامل مع آدم رويل يحتاج الى جهد كبير، لأنه يشبه ركوب أحد القطارات في مدينة الملاهي، يصعد بالانسان الى أعلى ثم يهبط به فجأة الى أسفل. إنها لم تقابل في حياتها شخصاً مثل آدم رويل، هذا الانسان المتقلّب الذي يكاد يدفعها الى الجنون، ولكنه اعتذر لها وسيذهبان الى المسرح معاً.

وعندما حان موعد الغداء توجّهت سامانتا الى غرفة الطعام وقد علت فمها ابتسامة رقيقة.

٨ ـ الاعتراف

في المساء أخذت سامانتا تستعدّ للذهاب إلى المسرح، وبدت وهي تنتقي أجمل ثيابها، وكأنها ذاهبة الى أول موعد غرامي لها وليس إلى المسرح مع آدم تنفيذاً للخطة التي اقترحتها. وبدت سامانتا رائعة وقد ارتدت ثوباً جميلاً من الجورجيت تهدّل منسدلاً على جسمها النحيل في تموّج أنيق، وشعرها الأشقر وقد صفف بطريقة أبرزت جمال وجهها.

وعندما نظرت سامانتا إلى المرآة تلك الليلة، أدهشها أنّ وجهها قد اكتسى برونق عجيب زاده جمالاً.

وبعد أن اطمأنت إلى زينتها نزلت إلى البهو الذي كان خالياً من أي شخص في ذلك الوقت.

وفكّرت سامانتا في أن ذلك لا يتمشى مع الخطة التي وضعتها مع آدم، لاظهار ارتباطها أمام الجميع، ولكن لسبب لم تكن تدريه شعرت أنها لم تعد تهتمّ بذلك.

كان آدم ينتظرها بجانب السيارة وهو يرتدي حلة داكنة اللون، وشعرت بقلبها يخفق كالمعتاد كلّما وقعت عيناها عليه، ونظر اليها آدم مبتسماً وهو يقول:

«يا لك من فتاة جميلة، إن مظهرك رائع».

واضطربت سامانتا قليلاً ولكنها ابتسمت ابتسامة عريضة وهي تردّ قائلة:

«يمكنني أن أكون أفضل من ذلك كثيراً لو أنني حاولت»

ورفع آدم حاجبيه وهو يقول:

«ربما من أجل ريتشارد بارنز!»

«ربما!»

قالت سامانتا ذلك وهي تسلّمه مفاتيح السيارة ثم سألته:

«هل تتولى أنت القيادة؟»

وتوقّف آدم قليلاً أمام باب السيارة وأخذ ينظر إليها ثم قال:

«ربما كان من الأنسب أن نذهب لمشاهدة هاملت بدلاً من ماكبث فقد كان هاملت يعاني أيضاً من المتاعب مع النساء».

وجلست سامانتا إلى جانبه في السيارة وهي تقول:

«كنت أتساءل إذا كان من الأفضل لو أننا عرضنا على الآنسة بيلي والآنسة ترامب توصيلها معنا الى المسرح».

قالت سامانتا ذلك في محاولة منها لمعرفة ما إذا كان آدم ينظر إلى خروجهما معاً الليلة، على أنه مجرّد تنفيذ للخطة التي دبراها معاً.

فقال آدم:

«لقد فات الأوان فقد رأيتهما وهما تستقلان سيارة أجرة، وكنت أتمنى أن أراهما وهما تركبان دراجة ترامب البخارية».

ومنعت سامانتا نفسها من الضحك وهي تتخيل هذا المنظر ثم قالت:

«إنني معجبة بالآنسة ترامب».

«وأنا كذلك معجب بها».

وسكت لحظة ثم قال:

«ألم تدركي بعد يا سامانتا أن هذه هي طريقتي في الحديث عن الأشخاص الذين أعجب بهم، إنني أحب الجميع هنا في المدرسة ما دمت لا أتعرّض

لمضايقاتهم أو يدعونني إلى الخروج معهم».

«وماذا عني؟ لقد كنت أنا التي دعوتك إلى الخروج معي، هل يعني هذا أنك لا تحبني؟»

«أنت شيء آخر. وأرجو أن تتوقفي عن استفزازي وأنا أدور بالسيارة في هذا المنحنى وإلاّ وجدنا أنفسنا في إحدى الحفر».

بدا آدم لسامانتا في حالة مرحة مشجّعة، فشعرت بالاطمئنان إليه، واسترخت في مقعدها إلى جواره وأخذت تنظر من نافذة السيارة. كان الجو صيفاً والطبيعة ساحرة من حولها وزقزقة العصافير تملأ المكان وهي تسارع إلى أعشاشها فوق الأشجار تصطف على جانبي الطريق.

وفجأة وجدت سامانتا نفسها تتساءل إذا كانت على صواب فيما تفعله. ولكنها توقفت عن التساؤل فقد كانت تشعر بنوع لم تألفه من السعادة وهي تجلس إلى جانب آدم.

ومضت بهما السيارة وقد لفّهما الصمت حتى وصلا إلى المسرح. وتركا السيارة في مكان بعيد عن الزحام وسارا في الحديقة الكبيرة التي تحيط بالمسرح وقد امتلأت بتماثيل شخصيات شكسبير المسرحية، وهي تحيط بتمثال برونزي لشكسبير نفسه.

وقال آدم وهو ينظر إلى وجه شكسبير:

«لقد عرف شكسبير كل شيء عن النفس البشرية، فالمرء لا يحتاج لدراسة علم النفس إذا ما درس شكسبير وفهمه، ويمكن لأي شخص أن يجد نفسه في أحد هذه التماثيل».

فهزّت سامانتا رأسها وهي تقول:

«نعم، ولكن المهم هو أن تعرف نفسك، وإذا حدث أن عرفت فقد لا يعجبك ذلك».

ونظر إليها آدم وقد اكتسى وجهه بتعبير غريب وهو يقول:

«يا لك من طفلة فيلسوفة، إنك تدهشينني دائماً يا سامانتا».

فردّت بلهجة تمثيلية رزينة:

«شكراً أيها المدير ولكنني لست طفلة».

«لست طفلة!»

قال آدم ذلك في سخرية خفيفة ثم أضاف بصوت خافت:

«ربما لا تكونين».

وساد الصمت بينهما فترة وهما يسيران وسط الحديقة، وقد انعكست أضواء المسرح على صفحة النهر، وشعرت سامانتا وهي تسير بجانب آدم وكأن شحنة كهربائية تسري في جسمها، فحاولت إقناع نفسها بأن ما تشعر به ما هو إلاّ الانجذاب الطبيعي بين رجل وفتاة. وبعد لحظة شعرت بيد آدم وهي تبحث عن يدها لتمسك بها.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تذهب فيها إلى مسرح ستراتفورد لمشاهدة مسرحيات شكسبير وعلى الرغم من ذلك كانت تحسّ بشعور مختلف تماماً هذه المرّة وهي تدخل إلى المسرح وبجانبها آدم رويل.

وبدأ العرض المسرحي واستغرقت سامانتا تماماً في الاستمتاع بالمسرحية، حتى أنها لم تستطع انتزاع نفسها من الجوّ التاريخي الذي نقلتها إليه أحداث المسرحية.

وأخيراً انتهى العرض وسألها آدم وهما يخرجان معاً في الزحام عن رأيها في المسرحية وقال لها:

«كنت تستمتعين بكل دقيقة من وقتك. فقد كنت أراقبك».

وأثناء سيرهما في أحد ممرات المسرح فوجئت سامانتا بآدم ينحني عليها قليلاً وهو يقول:

«لا تنظري الآن الى الوراء، فان الآنسة ترامب والآنسة بيلي خلفنا مباشرة، وربما تكون هذه فرصة مناسبة لتنفيذ خطتنا».

قال آدم ذلك وهو يحيط كتفيها بذراعيه ويقربها منه في ودّ ظاهر.

وشعرت سامانتا بلمس ذراعه الدافىء على كتفيها وودّت للحظة لو أنها مالت برأسها الى كتفه.

وجاءها صوت آدم يهمس في أذنها:

«ما رأيك، هل أقوم بدور المحب بطريقة مقنعة».

ورفعت سامانتا وجهها إليه وقلبها يخفق بشدّة وردّت عليه ببرود وهي تحدث نفسها بأنه يقوم بدوره بطريقة ممتازة فعلاً وقالت:

«لا بدّ أنك تدرّبت كثيراً على القيام بهذا الدور».

«إنه لشيء غريب حقاً وربما لا تصدقينني يا سامانتا إذا قلت لك إنني لم أتدرب كثيراً على هذه المواقف كما تعتقدين».

واستطرد قائلاً:

«ربما كنت أنتظر الفتاة المناسبة».

ومرّة أخرى برزت أمام عينَي سامانتا صورة استيل نورتون، تلك الفتاة التي كان آدم يتحدّث عنها بإعجاب شديد. وهنا شعرت سامانتا أنها أخطأت في الاشتراك في هذه المهزلة مع آدم ثم قالت في برود:

«أظن ليس هناك ما يدعو إلى أن تقوم بدورك بهذه الدرجة من الاتقان».

فابتسم آدم وهو يذكرها بأن الفكرة فكرتها ثم قال:

«وما الذي يجعلك تعتقدين أنني أمثّل؟»

وشعرت سامانتا بالرجفة تسري في جسدها من جديد وهي تسمعه يقول ذلك في صوت عميق.

ورفعت إليه وجهها ونظرت إليه بعينين متسائلتين، وفي هذه اللحظة سمعا صوت الآنسة ترامب وهي تحيّيهما بصوت عال. ثم لحقت بهم الآنسة بيلي وأخذ الجميع يتجاذبون أطراف الحديث حول المسرحية.

وابتسمت سامانتا وهي ترى آدم يتحدّث اليهما بطريقة مهذّبة للغاية، وتمنت ألاّ يعرض عليهما توصيلهما بالسيارة، وشعرت براحة عميقة عندما سمعته

يعتذر لهما ثم يضع يده في ذراعها وهو يدفعها بعيداً عن الزحام ويقول:

«لقد حجزت مائدة للعشاء، هل توافقين؟»

وشعرت لأول وهلة بالسعادة إذ ستتاح لها فرصة أطول للاستمتاع بهذه الليلة الجميلة ولكنها قالت:

«لم يكن من الضروري أن تفعل ذلك».

«أعتقد أن ذلك كان ضرورياً لسببين: الأول أننا سنكون أكثر إقناعاً في تمثيل دورنا لو أننا تأخرنا في العودة إلى المدرسة، والثاني لأنني كنت على يقين من أنك ستشعرين بالجوع».

واتجها معاً إلى المطعم وكان العشاء ممتعاً وقد جلسا يتحدّثان عن المسرحية.

وشعرت سامانتا بالسعادة تغمرها فتنهدت وهي تقول:

«هذا شيء رائع حقاً ولم أدرك كم أنا جائعة، فقد انشغلت في العمل ولم يكن لديّ الوقت لتناول الطعام قبل خروجي».

فنظر إليها آدم وهو يقول:

«إنك تهتمين بعملك في المدرسة كثيراً أليس كذلك؟»

«أعتقد ذلك فعلاً فإنني أشعر بطريقة أو بأخرى أنني أشغل المكان الذي كان من المفروض أن يشغله أبي».

واغرورقت عينا سامانتا بالدموع عند ذكر والدها، ولكنها أضافت وهي تحاول التغلب على عواطفها:

«لهذا السبب أجد نفسي مسؤولة عن المدرسة خلال فترة تغيّب العم ادوارد».

فنظر اليها آدم وهو يبتسم قائلاً:

«في أي حال سنعمل معاً على أن يمضي كل شيء على ما يرام، فأنت لست وحدك الآن لأنني معك»

ونظرت إليه سامانتا وهو يدفع فاتورة الحساب واسترجعت كلماته حين قال لها:

«لقد استحوذت عليّ».

وتمنّت لو أنه كان يعني ما يقوله، ولكنها كانت تدرك تماماً أنه لا يمكن لأية فتاة أن تمتلك آدم رويل، في علاقة يسودها الحب والثقة لأنه ببساطة لم يخلق ليكون هذا الرجل.

وفي طريق العودة إلى المدرسة بدا على آدم أنه يفضّل السكوت ولكن سامانتا كانت تخشى فترات الصمت التي تسود بينهما، لأنها تسبّب لها نوعاً من التوتر فحاولت استدراجه للحديث، فسألته عن خططه بالنسبة للمستقبل. فأجابها بأنه سيعمل في المدرسة الكبيرة مع بدء الفترة الدراسية القادمة وأنه سيقيم قريباً من المدرسة فسألته:

«ولكن هل ستحتفظ بالكوخ؟»

فردّ بالايجاب قائلاً:

«إنه ملاذي الوحيد وسأقضي فيه معظم إجازتي لأتمكّن من الكتابة».

وقالت سامانتا وهي تبتلع تنهيدة صغيرة:

«يبدو أنك رتّبت كل شيء».

وسألت سامانتا نفسها إذا كان موضوع الزواج قد دخل في حسابه وهو يضع خطة حياته. واسترجعت في ذهنها صورة الكوخ الصغير فوق التل ولكنها تنبهّت إلى صوت آدم وهو يقول لها أنهما قد وصلا إلى المدرسة.

ونظر آدم إلى مبنى المدرسة الذي كان يسبح في الظلام باستثناء بعض الضوء الذي كان ينبعث من نافذة أو نافذتين وقال:

«إنني اتساءل ما إذا كان أحد يتلصّص علينا الآن ليرانا عند عودتنا».

ثم نظر إليها قائلاً:

«هل نستأنف دورنا يا سامانتا؟»

وسادت فترة صمت ردّ بعدها سؤاله هذا مرة أخرى وهو ينظر إليها.

والتقت نظراتهما في ضوء السيارة الخافت ومدّ آدم يده ليضعها على المقعد حول كتفيها، وارتجفت وهي تشعر بأصابعه تتحسس كتفها العاري، فأغلقت

عينيها وشعرت به وهو يجذبها بقوّة والتصقت سامانتا به وهي تبادله عاطفته في عنف لم تعرفه من قبل، وقد شعرت أنها كانت تتوق دائماً الى مثل هذه اللحظة.

وأخذ آدم يربت على شعرها ثم نظر في عينيها وهو يقول في صوت حالم:

«أعتقد أنني وقعت في الحب يا سامانتا، وأنني أخيراً وجدت فيك ضالتي المنشودة».

وتنبّها في هذه اللحظة إلى ضوء سيارة قادمة، وسمعا صوت إطاراتها وهي تقف بصورة مفاجئة بالقرب منهما وفتحت سامانتا باب السيارة، وما كادت تنزل منها حتى فوجئت بشبح يتجه إليها بسرعة وسمعت صوت ليزا المنفعل وهي تقول:

«شكراً لله إنني وجدتك».

ثم اقتربت منها وهي تقول:

«لقد حضرت لأحتمي عندك، هل يمكنك السماح لي بالدخول إلى المدرسة بدون أن يراني هذا المتوحش آدم رويل، فقد وقعت مشادّة عنيفة بيني وبين روبرت».

وتوقفت ليزا عن الحديث فقد رأت شخصاً آخر يخرج من السيارة ثم قالت:

«آسفة يا سامانتا لم أكن أعرف أن أحداً بصحبتك».

وبعد لحظة من الصمت الحرج قالت ليزا:

«ألا تقدمينني لصديقك؟»

واقتربت من السيارة وبدا آدم وقد انعكس الضوء على وجهه، ورأت سامانتا ليزا وقد تسمّرت في مكانها فجأة ثم سمعت صوت آدم يقول:

«لا داعي لمقدّمات فأنا نعرف بعضنا أليس كذلك يا آنسة غولد أم أنك السيدة غولد الآن؟»

لم تنطق ليزا بل وقفت تحملق في آدم وبدا وجهها شاحباً للغاية. وأخذت سامانتا تنقل بصرها بينهما وهي لا تدري تماماً حقيقة الموقف بينهما ثم قالت

أخيراً:

«لا داعي لأن نقف في الخارج هكذا».

ولمست يد آدم في محاولة لتهدئته، ولكنه دفع يدها وهو يهزّ رأسه في حركة عصبية وقال:

«سأتركك الآن وعليك أن تتأكدي من إغلاق السيارة».

وما أن دخل آدم إلى المدرسة حتى انفجرت ليزا تضحك في عصبية واضحة وهي تقول:

«يا له من حظ سيء، فهذا آخر شخص أود رؤيته في هذه اللحظة، ولكن لم يكن أمامي سوى المجازفة بالمجيء إلى هنا، فقد طردني روبرت خارج المنزل بعد أن عاد فجأة من سفره فوجدني مع روي ماذرز، وحاولت أن أشرح له الأمر ولكنه لم يستمع إليّ.»

ثم انفجرت باكية وهي تقول:

«أوه يا سام لقد كان الأمر فظيعاً».

وأخرجت سامانتا منديلاً من حقيبتها ووضعته في يد أختها ثم أغلقت باب السيارة وهي تقول:

«تعالي ندخل، هل يعرف روبرت بوجودك هنا؟»

«لا، فقد أسرعت بالخروج من المنزل. كان متأثراً جداً».

فقالت سامانتا في هدوء وهي تصحبها الى الداخل:

«حسناً، يجب أن تتصلي به لتبلغيه بذلك».

واتجهت سامانتا إلى الهاتف تقرّبه لليزا التي نظرت إليه في رعب شديد ثم قالت:

«لا أستطيع ذلك، ليس الليلة على الأقل، ربما في الصباح».

ولكن سامانتا رفعت السماعة وهي تقول بلهجة آمرة:

«إتصلي به الآن وإلاّ فعلت أنا ذلك».

فارتعش فم ليزا وهي تقول لأختها:

«كيف يمكنك أن تفعلي بي هذا يا سام، إنك أختي ولا بدّ أن تتعاطفي معي».

فردّت سامانتا قائلة في برود:

«إنني لا أشعر برغبة في التعاطف معك، هل أطلب لك رقم المنزل؟»

قالت ذلك وهي تدير قرص التليفون بالفعل، ولمّا سمعت صوت روبرت على الطرف الآخر سلّمت السماعة لليزا ثم خرجت من الغرفة بعد أن أغلقت الباب وراءها.

وبعد حوالي عشر دقائق خرجت ليزا من الغرفة. كان وجهها ما زال شاحباً ولكنه خلا من مظاهر الخوف وقالت في لهجة اتسمت بنوع من الغرور:

«إن روبرت سيحضر ليعيدني إلى المنزل في الحال».

ثم أضافت وهي تبتسم:

«شكراً يا سام لأنك فعلت ذلك، فأنت دائماً فتاة عاقلة».

فردّدت سامانتا قولها بصوت جاف وهي تفكر في موقفها من آدم:

«فتاة عاقلة! لا أعتقد ذلك».

لقد شعرت سامانتا بأنها اقترفت الحماقة الكبرى حين وقعت في حب آدم، واتجهت إلى المطبخ لاحضار فنجان من الشاي لليزا وهي تسترجع موقفها مع آدم قبل مجيء ليزا، وملمس شعره وهي تتخلّله بأصابعها. غير أن عينيها اغرورقتا بالدموع وهي تستعيد صورته وهو يدفع يدها بعيداً في حضور ليزا، وشعرت بقلق غامض وحاولت أن تطمئن نفسها بأنّ الغد كفيل بأن يدفن غضبه بين طيّاته.

ولم تستطع النوم إلاّ بعد أن أقنعت نفسها بأنّ أول شيء عليها أن تفعله في الصباح، هو محاولة معرفة كل شيء عن حقيقة الموقف بين آدم و ليزا.

ولسوء حظ سامانتا كان اليوم التالي هو الأحد، وكان من الصعب عليها أن تجتمع بآدم إذ كان مشغولاً بالعديد من اللقاءات، وشعرت في المرات القليلة

التي التقت به فيها مصادفة، بأنه يتحاشى توجيه الحديث إليها.

وعندما القت سامانتا نظرة جانبية على وجه آدم وهما يجلسان في الكنيسة لحضور قداس يوم الأحد، رأت فيه وجه آدم عند أول لقاء رأته فيه بكل ما كان ينبض فيه من مظاهر الوقاحة والقسوة.

ومضى اليوم و آدم يحاول تحاشي الانفراد بها، بينما سامانتا لا تجد في نفسها الشجاعة لتذهب إليه في غرفته.

وبحثت سامانتا عن كريستين لمناقشتها في بعض أمور العمل فوجدتها وقد انهمكت في تنظيم غرفة المشرفة فبادرتها بالسؤال:

«هل تؤدين عملاً في يوم الأحد يا كريستين؟»

«أنني أعد الغرفة لحضور بديلتي».

«ولكنها لن تحضر قريباً».

«لقد حدث بعض التغيير، ألم تعرفي ذلك. علمت من السيد رويل أنه أتفق مع إحدى الفتيات لتتسلّم العمل خلال الفترة المتبقية من الدراسة».

وسألت سامانتا في تعجّب:

«وهل ذكر اسمها؟»

«لقد قال إنها على درجة كبيرة من الكفاءة».

ثم قالت بعد تفكير:

«وقال إن اسمها نورتون نعم استيل نورتون».

شعرت سامانتا بغضب مفاجيء، وهي تحدّث نفسها: إذاً هذه هي الطريقة التي يحاول بها آدم التعامل معها. إنه يريد احضار الآنسة نورتون لتعمل في المدرسة، متجاهلاً وجودها تماماً وكأنه يتعمّد ذلك.

ولم تدر سامانتا كيف غادرت الغرفة وهي تتجّه مهرولة في طريقها إلى غرفة آدم ووجدت نفسها أمام الباب تطرقه لتدخل بدون تردد.

وقفت سامانتا في مواجهة آدم وهو يجلس إلى المكتب وقد تناثرت

الأوراق من حوله. وسألها بدون أن يرفع وجهه عما تريد وقد بدت لهجته كأنه يشعر بالضيق لأنها قاطعته في عمله.

قالت سامانتا من غير مقدمات:

«علمت أنك سمحت لنفسك بالاتفاق مع استيل نورتون على العمل بالمدرسة».

فرفع وجهه وقد ارتفع حاجباه قليلاً ثم قال:

«نعم فعلت ذلك، هل لديك اعتراض على الآنسة نورتون؟»

«بالطبع لا، فإنني لا أكاد أعرفها، ولكنني أعتقد أنه كان من اللائق أن تبلغني أنت بذلك بدلاً من أن أسمع به من غيرك».

وبدا وجه آدم وهو ينظر إليها خالياً من كل تعبير، ثم وقف وظهره اليها والتفت فجأة وهو يقول:

«حين رأيتك لأول مرة وجدت في منظرك صورة طبق الأصل للآنسة غولد فسألتك إذا كان لك أخت فأجبت بالنفي وكان ذلك كذباً سافراً منك».

وارتجفت سامانتا ولكنها تمالكت نفسها وهي تقول:

«إنني لم أكذب فقد كنت تسأل إذا كان لي أخت توأم».

واستطردت سامانتا:

«لقد كذبت عليك، ولكنني كنت أعتقد أنني على حق فيما أقول، فأنا أعرف ما حدث بينك وبين ليزا منذ أربع سنوات، ولم أكن أريد أن أحييّ الذكريات المؤلمة».

فرد آدم في صوت به رنة سخرية باردة:

«حقاً! لقد فكرت بطريقة سليمة!»

«والآن وقد عرفت لماذا فعلت ذلك، كل ما أريده هو أن تمرّ هذه الفترة الدراسية بدون مشاكل».

والتقت نظراتهما وظلاّ هكذا لفترة من الوقت وقد بدت على وجه آدم مظاهر

الحيرة، ثم اتجه إلى المكتب وهو يقول:

«لا أريد التحدث في هذا الأمر بعد الآن، فهو لا يعدو أن يكون مسألة شخصية. والآن بالنسبة للمشرفة الجديدة، كنت أنوي أن أخبرك بهذا الأمر غداً خلال ساعات العمل، فقد وجدت أنه من الأفضل الاستعانة بأي فتاة تقبل العمل بصفة مؤقتة إلى أن يعود السيد بارنز.»

وبدا وكأن آدم يريد إنهاء المقابلة فاتجهت سامانتا إلى الباب، ولكنها شعرت بأن الموقف ما زال كما هو التفتت إليه مرة أخرى وهي تناديه وتمدّ إليه يدها في استعطاف.

فنظر إليها نظرة سريعة ثم أشاح ببصره وهو يقول:

« سامانتا أرجوك أن تنسي كل شيء عن هذا الموضوع، وأرجوك لا داعي للاستمرار في التمثيل».

فرفعت سامانتا رأسها في تحدّ وهي تقول أنها لا تمثل، ثم أسرعت بالخروج من الغرفة.

وتوجهت سامانتا إلى غرفتها فقد شعرت برغبة شديدة في الانفراد بنفسها والبكاء. وأخذت تلوم نفسها، لقد حذرتها ليزا من قبل ولكنها لم تستمع اليها.

وحدّثت نفسها بأنه ربما كان من حسن حظها، أن يقطع آدم علاقته بها قبل أن يتطور الأمر الى أكثر من ذلك، وربما من الأفضل أن تتوقف عن التفكير فيه فإن ما تشعر به نحوه لا يتعدى الانجذاب الطبيعي بين الرجل والمرأة، ولكنها عندما ذهبت إلى سريرها في هذه الليلة انفجرت في البكاء وكأن قلبها قد انفطر إنفطاراً.

٩ ـ رياح القسوة

استيقظت سامانتا صباح اليوم التالي، وجهها أكثر شحوباً. ولكنها عادت الى طبيعتها تماماً وهي تجلس الى مكتبها عندما وصل آدم وحيّاها تحية الصباح. ونجحت سامانتا الى حدّ كبير في السيطرة على نفسها وهي ترد تحيته بابتسامة مصطنعة.

وقالت سامانتا تحدّث نفسها، بينما كان آدم يخلع روبه الجامعي ويلقي به على المقعد:

«لا تجزع يا سيد آدم رويل فإنني لن أركع على ركبتي طلباً لرضاك كما تتوقع من جميع النساء... لا لن يحدث هذا مني أبداً».

ثم وجّهت سامانتا حديثها الى آدم قائلة:

«وصلتنا مجموعة كبيرة من الرسائل معظمها عادي. ولكن هذه الثلاثة تحتاج لأن تلقي عليها نظرة».

وسلّمته الرسائل ثم نظرت في دفتر المواعيد وقالت:

«ليس لديك أية مقابلات حتى الحادية عشرة. هل ترغب في رؤية السيد ريد للاعداد لمسابقة الكريكيت؟»

www.elromancia.com

«لا. ليس اليوم، سوف أتصفح هذه الخطابات أولاً، ثم أذهب الى ليمنغتون لمقابلة الآنسة نورتون».

قال آدم ذلك وهو يخرج من الغرفة متوجهاً الى مكتبه. وقالت سامانتا تحدّث نفسها، هذه هي نهاية الفصل الثاني من المسرحية وسيبدأ الآن الفصل الثالث، ومن المؤكد أن دورها فيه سيكون دوراً ثانوياً، وستكون البطولة فيه لآدم و استيل نورتون، ثم تمضي الأيام لتنتهي الفترة الدراسية ويعود العم ادوارد ليتسلّم عمله، وبعودة ريتشارد من سفره سينتهي كل شيء وتعود الأمور الى مجراها الطبيعي.

وأخذت سامانتا تباشر عملها، وعندما دخلت غرفة المدير لتقدم لآدم قهوة الصباح نظر الى ساعة يده وهو يقول:

«يا إلهي. لقد تأخر الوقت».

ودفع مقعده الى الخلف وهو يطلب منها تأجيل كل شيء الى ما بعد الظهر، ثم اتجه الى الباب وهو يقول أنه سيعود حوال الساعة الحادية عشرة.

ونظرت سامانتا الى الأوراق المتناثرة على المكتب وهي تحدّث نفسها قائلة، لا بدّ أن يكون شيء هام جداً دفع آدم ليترك مكتبه على هذه الصورة من الفوضى شيء مثل لقائه مثلاً بالآنسة نورتون. وهزّت سامانتا كتفيها وكأن الأمر لم يعد يعنيها، وانتهت من شرب فنجان القهوة ثم دخلت بفنجانها الفارغ الى المطبخ.

وجاوز الوقت الساعة الحادية عشرة، ولم يعد آدم، ثم سمعت صوت سيارة تقف بالباب الأمامي ثم صوت أقدام في البهو. ونظرت سامانتا وهي تتوقع أن ترى آدم والآنسة نورتون، ولكنها بدلاً من ذلك رأت رجلاً نحيلاً ملتحياً يقف أمام مكتبها. ولم تكن سامانتا على استعداد لمقابلة أي شخص في ذلك الوقت فقالت:

«إنني آسفة».

ولم تكمل سامانتا الجملة فقد رأت ريتشارد يقف أمامها، فقفزت من مقعدها وفي لحظة كانت بين ذراعي ريتشارد الذي أخذ يعانقها في شوق لم تتعوّده منه من قبل. وتراجعت سامانتا الى الخلف ونظرت الى ريتشارد من جديد وكأنها لا تصدّق عينيها. واندفعت الأسئلة تتسابق على لسانها وهي تنظر اليه وتقول:

«لم أعرفك فقد أطلت لحيتك. ولكن لماذا لم تخبرنا بعودتك؟»

وبعد زوال المفاجأة أخذت سامانتا تفكّر كيف تبلغه بمرض العم ادوارد فقالت وهي تنظر اليه:

«لديّ بعض الانباء».

«تقصدين بشأن والدي. كنت في زيارته في المستشفى، وقد اتصلت به هاتفياً من المطار بعد وصولي».

وطفق ريتشارد يحكي لها كيف عرف بمرض أبيه بمحض الصدفة عندما قابل أحد أولياء أمور التلاميذ في مدينة المكسيك وقال وهو يقطّب جبينه:

«كم كنت أود أن تخبريني بذلك من قبل يا سامانتا، كان يمكنني الحضور لأحمل عنك بعض المسؤولية، سمعت من والدي أنك تحمّلت الكثير».

فابتسمت سامانتا وهي تقول:

«ليس الأمر كذلك فقد استعان العم ادوارد بمدير جديد اسمه آدم رويل، هل تعرفه؟»

«لا. إننا لم نلتق من قبل، ولكن والدي يثق به كثيراً».

ثم سألها قائلاً:

«وكيف تمضي الأمور بينك وبينه؟»

وهزّت سامانتا كتفيها قائلة:

«إنه شخص ذكي للغاية كما أنه مدير ممتاز، والتلاميذ يحبّونه وهذا هو المهم».

وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث وقال لها ريتشارد أنه رتّب كل شيء يلزم

لقضاء والده فترة النقاهة في ديفون، وأنه سيعود بعد ذلك الى المدرسة لتقديم أية مساعدة ممكنة.

وشعرت سامانتا بالارتياح لأنها لن تصبح بمفردها في مواجهة آدم والآنسة نورتون معاً.

ومدّت سامانتا يدها بطريقة لا شعورية ولمست يد ريتشارد وهي تقول في حرارة:

«إنني سعيدة جداً بعودتك يا ريتشارد».

فأخذ ريتشارد يدها بين يديه وأجاب:

« سامانتا. إن لديّ ما أودّ أن أخبرك به».

وفي هذه اللحظة فتح باب الغرفة وظهر آدم بالباب وبجانبه استيل نورتون التي أخذت تنظر اليهما وكأنها تنظر الى مشهد مسل.

وسحبت سامانتا يدها من بين يدي ريتشارد ووقفت ثم سادت لحظة صمت قبل أن تقول سامانتا:

«وصل ريتشارد للتو على غير المتوقع يا سيد رويل. جونز و بلينكنسوب في انتظارك بالمكتب».

ومدّ آدم يده الى ريتشارد مصافحاً وهو يقول:

«إنني سعيد لرؤيتك فقد كنت دائماً متشوقاً لذلك».

واعتذر آدم بانشغاله ثم التفت الى سامانتا قائلاً:

«أرجوك أن تأخذي الآنسة نورتون لمقابلة كريستين».

ثم ابتسم معتذراً وهو يتجه الى خارج الغرفة.

واتجهت سامانتا مع الآنسة نورتون لعمل الترتيبات اللازمة لاقامتها بالمدرسة. وبدا واضحاً منذ البداية أنها تتصرّف بطريقة مدروسة بعناية، وبدا لسامانتا وكأنها تتصرّف باستعلاء.

وصحبتها سامانتا الى إحدى الغرف التي أعدتها كريستين خصيصاً

لأولياء أمور التلاميذ في حالة حدوث ظرف طارىء، ونظرت استيل الى الغرفة بدون أن تعلّق بشيء. كما أنها لم تكلّف نفسها حتى مشقّة شكر سامانتا لحملها حقيبتها وهي تصعد معها.

وفتحت استيل الحقيبة وأخرجت حقيبة فيها أدوات التجميل، وجلست أمام المرآة لتعدّل من زينتها ثم التفتت الى سامانتا قائلة:

« آدم أخبرني أنك مسؤولة عن إدارة المدرسة أثناء فترة تغيّب السيد بارنز يا آنسة غولد».

قالت استيل ذلك في لهجة توحي وكأنها تتحدث الى فتاة صغيرة تسعد بالقيام بدور سيدة المنزل أثناء تغيّب أمها.

ثم استطردت تقول:

«لقد أردت أن أؤكّد لك أنه لا مجال للقلق من ناحيتي فان لديّ خبرة طويلة بالعمل في المدارس، الى جانب أنني كنت مسؤولة عن أحد العنابر بالمستشفى».

وعلى الرغم من أن سامانتا لم يعجبها موقف استيل، وكانت تود أن ترد عليها بطريقة تليق بهذا الموقف، إلاّ أنها صمّمت أن تحاول التعامل معها بطريقة طبيعية. الى حين انتهاء المدة المتبقية من الفترة الدراسية.

وهزّت سامانتا رأسها وهي تقول بهدوء:

«أرى ذلك. أمل أن تسعدي بفترة إقامتك القصيرة. وأرجو ألا تترددي في طلب مساعدتي إذا احتجت لأي شيء».

«بالطبع لن أتردّد في ذلك».

ثم أردفت وهي تتظاهر بتنظيف ثوبها:

«ولكنني لن أضطر لازعاجك فقد تعوّدت العمل دائماً مع السيد رويل وأنا أعرف تماماً ما يريده».

وتمالكت سامانتا أعصابها وهي ترد عليها في هدوء:

«حسناً. ما زلت عند كلمتي، والآن يمكنني أن أقدّمك الى مشرفة المدرسة اذا كنت

على استعداد لذلك».

وصحبت سامانتا استيل الى كريستين ثم عادت تبحث عن ريتشارد فاذا بها تجده قد غادر مكتبها تاركاً لها مذكرة صغيرة يقول فيها انه لم يستطع انتظارها وكان على موعد هام لا بدّ من الوفاء به. وطلب منها إرسال بعض الأشياء اللازمة لرحلة والده الى ديفون غداً قائلاً أنه سيعود الى المدرسة بعد أن يقوم بتوصيل والده الى ديفون. وشعرت سامانتا في هذه اللحظة بنوع من الاحباط فقد كانت تعول كثيراً على وجود ريتشارد في المدرسة في هذا الوقت بالذات، ووقفت لحظة في سكون الى جانب المكتب وقد إنتابها شعور موحش بالوحدة.

وفي حوال الثانية عشرة اتجهت سامانتا إلى غرفة المدير واستجمعت شجاعتها وهي تطرق الباب وتدخل ورفع آدم وجهه فرآها ثم نظر من جديد الى الأوراق الموضوعة أمامه وهو يسألها عما تريد.

وأخذت سامانتا نفساً عميقاً قبل أن تقول:

«أردت أن أسألك اذا كان يمكنني التوجه الى جناحك لاحضار بعض الضروريات اللازمة للسيد بارنز الذي سيغادر المستشفى قريباً كما أردت أن أستأذنك للذهاب اليه غداً».

فأجاب آدم بأنه يمكنها أن تفعل ما تريد غير أنه لم يرفع نظره اليها طوال حديثه معها وبدا في هذه اللحظة وكأنه يريدها أن تترك الغرفة ولكن سامانتا قالت:

«هل...؟»

إلاّ أنها توقّفت عن إتمام سؤالها. فرفع آدم رأسه مستفهماً. فقالت سامانتا بعد تردّد:

«هل ستحتاج الى مساعدتي في الكتابة على آلة الطباعة هذا المساء كالمعتاد؟»

وأخذ آدم قلماً من درج المكتب قبل أن يردّ عليها قائلاً:

«لا أعتقد ذلك. وأنا أشكرك على مساعدتك لي في الفترة الماضية، ولكنني لم أعد في حاجة الى ذلك والآنسة نورتون ممتازة في عملية الطباعة الى جانب مواهبها الأخرى وقد اتفقت معها على مساعدتي».

نظرت سامانتا اليه وقد أخرستها المفاجأة للحظة، ثم اجتاحها غضب رهيب أخذ يعصف بها. كيف يتحدّث اليها بهذه اللهجة وكأن ما حدث في الليلة الماضية قد أسقط من حسابه تماماً، ألم يهمس في أذنيها وهما في السيارة: لقد وقعت في حبك يا سامانتا، ووجدت فيك ضالتي المنشودة. ولم يكن غضبها بسبب فعلته هذه بقدر ما كانت بسبب الطريقة التي انتهجها وهو بصدد ذلك.

واندفعت سامانتا تقول في غضب وقد اهتزّ صوتها:

«إن ليزا كانت على حق فعلاً في كل ما قالته عنك، لقد حذّرتني منك قبل حضورك وحدّثتني عن الطريقة الوقحة التي تتعامل بها مع النساء. وأنا أخطأت عندما لم أعبأ بتحذيرها. وها هو التاريخ يعيد نفسه يا سيد رويل أليس كذلك؟»

واندفع آدم واقفاً ونظر اليها وهو يقول في ثورة غضب جامحة:

«إنني لا أهتم برأي أختك فيّ. أو برأيك أنت. والآن إتركي الغرفة قبل أن أفعل شيئاً أندم عليه. لا يمكن لأحد التفوّه بمثل هذا الكلام لي بدون أن يفلت من عقابي».

وظلاّ لحظة متواجهين في هذا الموقف ثم التفتت سامانتا واتجهت الى الباب وأغلقته بشدة وراءها.

وشعرت سامانتا وهي تتّجه الى غرفتها في الطابق العلوي بأن عالمها ينهار من حولها. ولكنها صمّمت، مهما حدث لها، أن تسيرّ الأمور على ما يرام بالنسبة للمدرسة.

ولم تر سامانتا آدم كثيراً في الأيام التي أعقبت هذا اللقاء العاصف. وكان واضحاً أنه يحاول تحاشي اللقاء بها. وأنه يحاول أن يضع جداراً عالياً بينهما.

وعلى الرغم من أن سامانتا رحّبت بهذا الموقف بعد موقف آدم المشين منها، إلاّ أنها كانت تشعر في قرارة نفسها أن هناك شيئاً يستعصي عليها فهمه. وكانت الأسئلة تتوارد على ذهنها في أوقات فراغها وهي تحاول تفسير موقف آدم، ولكنها لم تجد لها جواباً.

وفكّرت سامانتا في زيارة ليزا لمعرفة حقيقة ما حدث بينها وبين آدم منذ اربع سنوات، ولكنها تراجعت لأنه لا جدوى من ذلك فمهما كان موقف ليزا منه، فلن يكون مبرراً أبداً لأن يقف آدم منها هذا الموقف. واعتقدت سامانتا أنه من الأفضل أن تترك الوضع كما هو حتى يمضي كل شيء في مجراه الطبيعي بطريقة عادية.

وعندما طلبتها ليزا في الهاتف بعد ذلك بيومين لم تذكر لها أي شيء عن آدم. وأبلغتها ليزا خلال هذه المكالمة أنها ستسافر مع روبرت الى نيوكاسل.

وكان من حسن حظ سامانتا أن العمل أخذ عليها كل مأخذ بعد ذلك، وخاصة بعد المرض الذي ألم بالسيدة كمبل، وقد اضطرت سامانتا الى الاستعانة بخدمات السيدة دود وهي أرملة ثرثارة، لمساعدة السيدة كمبل في عملها. وكانت لا تكاد تجد الوقت الكافي لفض المشادات الواقعة بينهما.

في هذه الظروف الصعبة حدث شيء أسعد سامانتا، فقد تقرّر أن يغادر العم ادوارد المستشفى وذهبت لرؤيته وهي تحمل ما قد يحتاج إليه في رحلته الى ديفون إلا انه حدث ما أدّى الى تأخرها، فوصلت الى المستشفى بينما كانت السيارة التي تحمل العم ادوارد وريتشارد بدأت في التحرك. وتوقّف ريتشارد وهو يراها تهرول تجاه السيارة. ونظرت سامانتا الى العم ادوارد داخل السيارة ثم قالت لاهثة:

«لقد أردت أن أودّعك وأتمنى لك عودة سريعة».

ورأت سامانتا ريتشارد وهو يقود السيارة يبتسم اليها. وتنبّهت الى انه

يستخدم سيارة العم ادوارد وهذا يعني أنه حضر الى المدرسة لأخذ السيارة ولم يحاول مقابلتها. وبدا لها الأمر غريباً! انها لم تر ريتشارد منذ ذلك اليوم الذي ترك لها المذكرة على مكتبها. وعلى الرغم من أنها كانت تعرف أن ريتشارد من النوع الهادىء الذي لا يحب التحدّث كثيراً عن أموره الخاصة إلاّ أنها شعرت بنوع من الاستياء لما بدا لها من عدم اهتمامه بإبلاغها عن تحركاته.

قال لها ريتشارد مودّعاً:

«الى اللقاء سامانتا، سأحاول العودة سريعاً ولكنني لا أستطيع الجزم بذلك في الوقت الحاضر في أي حال آدم رويل معك ليساعدك ومن المؤكد أن كل شيء سيمضي على ما يرام».

وتابعت سامانتا السيارة وهي تبتعد بالعم ادوارد و ريتشارد، ثم اتجهت ببطء الى حيث كانت تقف سيارتها.

وبعد عودتها الى المدرسة وجدت كريستين في انتظارها في مكتبها وقد بدت عليها مظاهر القلق الشديد.

ولمّا سألتها سامانتا عما بها علمت منها أنها قلقة على جيمس فإنه يبدو أن الآنسة نورتون لا تعرف كيف تتعامل معه بلباقة. وأخذت تحكي لها كيف أنها عنّفته بشدّة لتأخره في المعمل، حيث كان يشاهد إجراء إحدى التجارب بعد أن سمح له آدم بذلك، وهدّدت بأنها ستمنعه من الدخول الى المعمل مرة أخرى مما سيؤثر بصورة كبيرة على نفسيته.

وقالت كريستين:

«يبدو أنني تسرّعت في قبول الزواج من هيغ، فإنني والوضع هكذا أشعر بالقلق الشديد تجاه جيمس، وربما كان من الأفضل أن أؤجل سفري الى ايطاليا».

كان من الممكن لسامانتا في الظروف السابقة أن تسوّي هذه المسألة ببساطة متناهية. اذ أن آدم كان متفهّماً تماماً لظروف جيمس النفسية وكان من الممكن أن يستمع اليها وهي تحدّثه بهذا الشأن. أما الآن فقد اختلف الوضع

ولا تدري ماذا سيكون موقف آدم، ولكنها أمسكت ذراع كريستين مطمئنة وهي تقول لها أنها سترعى جيمس بنفسها.

ووقفت كريستين وقد لانت ملامحها قليلاً وهي تشكر سامانتا قائلة:

«أنا على يقين من ذلك يا سامانتا فإنني أثق بك».

وعندما أغلقت كريستين الباب وراءها حدثت سامانتا نفسها قائلة:

«ليت الجميع يثقون بي، وخاصة آدم الذي أوضح تماماً أنه لا يثق بأي فتاة، وخاصة بي».

وفي السبت الأول من شهر حزيران أقيمت مباراة في المدرسة للكريكيت بين أولياء الأمور. وكانت هذه المناسبة من المناسبات الهامة للمدرسة.

كان يوماً مشرقاً. بدت الحديقة نظيفة تماماً وملاعب الكريكيت مساحة كبيرة من الخضرة الجميلة تحيط بها الأشجار العالية. وتناثر في أنحاء المكان أولياء الأمور مع أبنائهم وكان البعض يرتدي الملابس الرياضية والبعض يجلس تحت أشعة الشمس. وأخذت سامانتا موقعاً لها بعيداً عن الزحام وسمعت صوتاً من خلفها يقول:

«إنه منظر انكليزي تقليدي يا آنسة غولد أليس كذلك؟»

والتفتت سامانتا الى الخلف لتجد السيد جونز مدرّس العلوم. وأخذا يتحدثان عن الجو والمباراة وكان السيد جونز على وشك أن يتركها عندما قالت سامانتا فجأة:

«سيد جونز. أودّ أن اسأل عن أحوال جيمس كنت أتحدث مع والدته بشأنه فشعرت بأنها مهتمة جداً بتنمية ميوله العلمية».

وبدا السيد جونز وهو يحاول التذكّر ثم قال:

« جيمس هذا الطفل الصغير الذي يحضر الى المعمل في بعض الأحيان بناء على أوامر السيد رويل، انه يبدو شغوفاً جداً بالكيمياء، أرى أنه من السابق لأوانه

توجيه الطفل الى ناحية علمية محددة، وخاصة أنه ما زال في سن مبكرة. وليس من المستحسن أن يتخصّص في هذه السن بل الأفضل له أن يستمر في التعليم العام.

وشعرت سامانتا بالأسف بعد أن تركها السيد جونز كان من الواضح أنها لن تجد منه مساعدة لتحقيق رغبتها في ان يستمر جيمس بحضور دروس الكيمياء.

واتجهت سامانتا في بطء الى ملاعب الكريكيت حيث أخذت تشاهد التلاميذ وأولياء الأمور وهم يتبارون، ثم اتجهت الى حيث اصطفت الموائد لخدمة الزائرين، وبعد أن إطمأنت الى أن كل شيء على ما يرام اتجهت الى الداخل ولكنها فوجئت بآدم يقف بالباب فتنحت جانباً لتفسح له الطريق. لأنها دأبت في الفترة الأخيرة على تحاشي مواجهته بقدر الامكان.

وفي هذه اللحظة اندفع أحد التلاميذ الصغار ناحية آدم وعرفت فيه سامانتا كارترايت وكانت تقف بجانبه فتاة على درجة فائقة من الجمال في حوال الرابعة والعشرين من عمرها. وسمعت سامانتا كارترايت يحدث آدم قائلاً:

«هذه عمتي. وهي تقول إنها تعرفك».

كان آدم واقفاً وظهره إلى سامانتا، فلم تتمكّن من رؤية تعبيرات وجهه في هذه اللحظة، ولكنها كانت تستطيع رؤية وجه الفتاة وهي تنظر اليه بعينين لامعتين قائلة:

«هل تذكرني يا آدم رويل؟ لقد اشتركنا معاً في مباراة عنيفة للتنس هنا منذ زمن بعيد».

وأعقب ذلك فترة من الصمت، ثم سمعت صوت آدم وهو يقول في سعادة واضحة:

« جيليان. جيليان كارترايت. طبعاً أذكرك تماماً، هل تقيمين هنا مع شقيقك؟

إنني أذكر أنك كنت تقيمين في دورست».

ضحكت الفتاة وهي تجيب:

«أرى أنك تتمتّع بذاكرة قوية».

وإتصل الحديث بينهما بعد ذلك ولكن سامانتا لم تكن تنصت ولكنها فوجئت بهذا المنظر، وأخذت تحدّث نفسها:

«إذاً هذه هي جيليان كارترايت الفتاة التي حطّم آدم قلبها ودفعها الى محاولة الانتحار. حقاً يا ليزا لقد كانت قصة درامية عنيفة ولكن ليس بها أي أثر من الحقيقة، وكان يجب أن أدرك هذا من قبل».

وحان موعد زواج كريستين وطلبت الى سامانتا الذهاب معها لحضور القداس والعودة بجيمس الى المدرسة بعد ذلك. وكان قداساً بسيطاً للغاية إقتصر على الأقارب وعدد قليل جداً من الأصدقاء، وبدت كريستين جميلة في فستانها الرقيق. وقد أعجبت سامانتا بهيغ غاريت بمجرد رؤيتها له وكان يبدو رجلاً هادئاً ذا طبيعة طيبة.

وفي طريق العودة الى المدرسة جلس جيمس الى جانب سامانتا في السيارة وقد التزم الصمت تماماً. ولم تحاول هي من ناحيتها دفعه الى الحديث، ولاحظت كيف يحاول جيمس الالتصاق بها، فشعرت بالسعادة لأن جيمس بدا وكأنه مرتاح الى صحبتها.

كانت سامانتا تدرك موقف جيمس وكيف أنه سيشعر بالضياع والوحدة بعد ذهاب أمه وخاصة أنه رفض قضاء عطلة نهاية الأسبوع مع أبناء هيغ وفضّل البقاء في المدرسة.

وبعد أن وصلا الى المدرسة قال جيمس:

«الآنسة غولد».

وسكت لحظة فرأته وهو يحاول التغلب على دموعه ثم استطرد قائلاً:

«آنسة غولد. هل تطلبين الى الآنسة نورتون السماح لي بالذهاب الى المعمل

بعد العشاء الليلة. فهي تمنعني من ذلك ولكن، أرجو أن تسمح لي ولو مرة واحدة.»

ووعدته سامانتا أن تفعل ذلك، وشعرت أن موقف الآنسة نورتون يتسّم بالقسوة. وتوجّهت الى غرفة المشرفة الصحية حيث وجدت الآنسة نورتون.

كانت الغرفة قد تغيّرت معالمها تماماً بعد حضور الآنسة نورتون ولم تعد توحي بجو الأمان لأي طفل صغير قد يفد اليها، لقد أصبحت أشبه بعيادة طبية عادية.

ووجدت سامانتا الآنسة نورتون تجلس خلف الطاولة فبادرتها على الفور قائلة:

«حضرت اليك بطلب من جيمس، تزوّجت أمه الليلة وأنت تقدّرين شعوره في هذه اللحظة، وهو يرجو أن تسمحي له بالدخول الى المعمل ولو لهذه المرة فقط».

فرفعت الآنسة نورتون وجهها وهي تقول في برود:

«ولماذا لم يحضر بنفسه ليطلب مني ذلك؟»

وامتنعت سامانتا عن القول لها أنه يخشاها، ولكنها ردّت عليها بطريقة دبلوماسية:

«لا بدّ أنه كان يودّ ذلك، ولكن ظروفه اليوم غير عادية هل تفهمين ما أعني؟»

وتجاهلت الآنسة نورتون قول سامانتا وردّت قائلة:

«من الأفضل أن تطلبي منه الحضور اليّ».

وترددت سامانتا قليلاً وهي تقول:

«ولكن هل تسمحين له بالتوجه الى المعمل؟»

فنظرت اليها الآنسة نورتون من خلف نظارتها الداكنة وهي تقول:

«أعتقد أنني صاحبة القرار الأول والأخير».

وتمالكت سامانتا أعصابها وخرجت من الغرفة ووجدت جيمس في انتظارها قلقاً. وأبلغته أن الآنسة نورتون ترغب في مقابلته، وأخذت تطمئنه وهي تضع ذراعها في حنان حول كتفيه.

وجلست سامانتا في إحدى الغرف المواجهة لغرفة المشرفة الصحية، بإنتظار خروج جيمس. وبعد فترة سمع صوت الباب يفتح ثم خطوات أقدام جيمس ثم صوته وهو يبكي في حرقة شديدة.

فاندفعت سامانتا تخرج من الغرفة في نفس اللحظة التي فتح فيها باب الغرفة الملحقة بغرفة المشرفة الصحية ليخرج منه آدم ووقفا وجهاً لوجه. وتلاقت نظراتهما لحظة ثم بدا وكأن آدم يحاول الابتعاد فاندفعت دون تفكير تقول:

«أرجوك يا سيد رويل إنتظر لحظة».

فالتفت آدم ونظر اليها وقد ارتفع حاجباه فقالت وهي ما زالت في قمة اندفاعها:

«لقد كنت هناك طوال هذا الوقت. فهل سمعت ما حدث».

«نعم كنت هناك».

وأخذت سامانتا تنتفض وهي تقول له:

«وتركتها تفعل كل ذلك. تركت هذه المرأة تعامل الطفل الصغير بهذه الطريقة».

فردّ آدم وقد خلا وجهه من أي تعبير:

«عليه أن يتعلم كيف يواجه الأمور بنفسه».

«ولكنه ما زال طفلاً صغيراً وقد كان يوماً عصيباً بالنسبة إليه، ولكنه تماسك وتجلّد فيه ولم يذرف دمعة واحدة الى أن دخل غرفة الآنسة نورتون، ان أقل شيء كان يمكن أن تفعله إظهار قدر من الحنان والانسانية».

واهتزّ صوتها وهي تقول:

«أعتقد أنها تصرّفت بمنتهى القسوة، وأنت كذلك يا سيد رويل».

وبدا على آدم وكأنه سيفقد أعصابه ولكنه ردّ في صوت بارد:

«أنا المسؤول هنا يا آنسة غولد، ولن أسمح لأحد بأن يوجّه اليّ اتهامات أو نقد أو أوامر، وأرجو أن تضعي ذلك نصب عينيك جيداً، ولا تعتمدي على مركزك هنا

في المدرسة».

قال آدم ذلك وابتعد مسرعاً عنها.

ووقفت تنظر اليه في وجوم وهو يبتعد، وقد أدركت الآن أن هذه هي النهاية، النهاية المؤلمة.

www.elromancia.com

١٠ ـ وأزهر الصخر

عادت سامانتا الى مكتبها وهي تجرّ قدميها جراً، وما أن دخلت حتى ارتمت في مقعدها وهي تشعر بإرهاق شديد وقد جفّ حلقها.

ورنّ جرس الهاتف وكان المتحدث ريتشارد:

«أخيراً وجدتك يا سامانتا».

جاءها صوت ريتشارد وهو يقول لها أنه كان يحاول الاتصال بها طوال اليوم ولكنه لم يجدها.

وأخبرته سامانتا بأنها كانت تحضر زواج كريستين، وشعرت في هذه اللحظة بعد أن سمعت صوت ريتشارد ينطق بالمودة، كأنها تريد أن تنفجر في البكاء، ولكنها تماسكت وهي تسأله عن أخباره وعن أخبار العم ادوارد.

«إنه بخير وصحته تتقدّم سريعاً».

وأضاف في صوت منفعل:

«هناك شيء أودّ إبلاغك به، شيء غير عادي قد حدث لي».

وتساءلت سامانتا:

«هل هي أخبار طيبة؟»

وظنّت سامانتا للحظة أنه ربما يريد أن يقول لها أنه قابل فتاة وقرّر الزواج منها، ولكنه استطرد يقول أنه تلقى عرضاً لوظيفة مرموقة كمساعد للأستاذ

هايس الذي يعمل معه لمدة ثلاث سنوات في المكسيك.

وهنّأته سامانتا وهي تشعر بسعادة حقيقية، فقد كانت تدرك مدى أهمية هذا العمل بالنسبة إليه. ثم قالت:

«ولكن هل يعني هذا أنك ستعود الى جنوب أميريكا في القريب العاجل؟»

«نعم سأعود غداً، حقاً هذه أنانية منّي ولكن والدي شجّعني على ذلك».

وتوقّف ريتشارد قليلاً قبل أن يستطرد قائلاً:

«هناك شيء آخر. ولو أنني أشعر أنه من الصعب أن أتحدّث فيه عن طريق الهاتف إنك تعرفين شعوري نحوك، كنت أنوي أن أؤجّل الحديث في هذا الموضوع، ولكن لا أدري متى أعود مرّة أخرى، أنت تعرفين ما أعني يا سامانتا، وأرجوك أن تحاولي التفكير في هذا الأمر الى حين عودتي».

وكانت سامانتا تعرف أنه يريد أن يحدّثها بشأن زواجهما فابتسمت وهي ترد عليه قائلة:

«سأفكّر في الأمر».

وأضافت سامانتا تحدّث نفسها: ربما أفكّر في ذلك بعد أن أطرد آدم رويل من حياتي تماماً وعندما تزول عني هذه الرجفة التي تنتابني كلّما رأيته أو سمعت صوته.

كانت ليزا تقول دائماً أنها متبلّدة المشاعر، وكادت هي أن تصدّق ذلك فعلاً. ولكن لا يمكنها الآن أن تتجاهل حنينها الدافق الى عودة آدم اليها، الى الارتماء بين ذراعيه الى عناقه الطويل.

وعلى الرغم من أنّ سامانتا كانت تشعر بأنها في حالة إنهيار، وأنها تريد الانفراد بنفسها، إلاّ أنها تماسكت وصمّمت على عدم التخاذل ونزلت الى غرفة الطعام حيث شاركت في طعام العشاء. وكان الجميع في شوق الى معرفة كل التفاصيل الخاصة بزواج كريستين، فأخذت تقص عليهم بالتفصيل كل شيء عن الحفل، وعن موقف جيمس وكيف بدا وهو يحاول التماسك.

وعندما صعدت سامانتا الى غرفتها لم تستطع النوم فأخذت تفكّر في جيمس الذي كانت تشعر بالقلق عليه، وقادها تفكيرها في جيمس الى الآنسة نورتون، وأخذت أفكارها تتداعى لتصل بها في نهاية الأمر الى آدم. هجر النوم أجفان سامانتا فقد راق لها أن تذهب الى الغرفة التي يقيم فيها جيمس مع ثلاثة من زملائه للاطمئنان عليه. وارتدت سامانتا روبها واتجهت الى غرفة جيمس وفتحت الباب وأطلت برأسها ونظرت الى سريره في ركن الحجرة ولكن لرعبها الشديد وجدته خالياً.

وهرولت سامانتا تبحث عن جيمس في الأماكن التي يحتمل وجوده بها، ولمّا لم تجده وقفت في حيرة وهي لا تدري كيف تتصرف، وفجأة خطر لها أن تذهب الى المعمل لتبحث عنه. وبالفعل عندما وصلت الى هناك لمحت بصيصاً من الضوء ينبعث من الباب الذي لم يكن مغلقاً جيداً. ودفعته وهي تقول برفق:

« جيمس، أنا الآنسة غولد».

وفي هذه اللحظة سمعت صرخة طفل، ورأت الضوء ينبعث من ناحية الطاولة الموجودة في المعمل ليضيء المكان، فاذا بها ترى جيمس يقف مذعوراً في ركن الغرفة محاولاً الابتعاد عن النيران التي بدأت تشتعل.

وتصرّفت سامانتا بسرعة فنزعت عنه رداءه الصوفي، وحاولت ان تخمد به النيران التي أخذت تمتد، وبذلت جهوداً مستميته في محاولة احتواء الموقف من غير أن تلجأ الى طلب المساعدة.

وبعد جهد كبير تمكّنت من السيطرة على النيران، والتفتت الى جيمس وقد وقف يرتعد من الرعب، ولمّا لم تجد به أية إصابات، حملته بين ذراعيها وأجلسته فوق مقعد مرتفع وهي تحتضن رأسه بين يديها.

في هذه اللحظة دخل آدم الى الغرفة وألقى نظرة سريعة عليها، ورأى آثار الحريق والمياه على الأرض فأدرك على الفور ما حدث.

وشعرت سامانتا فجأة بأن قدميها لا تقويان على حملها، فألقت بنفسها الى

جوار جيمس في شبه إغماء ولكنها شعرت بآدم وهو يحاول رفع يديها لمعرفة ما اذا كانت قد أصيبت.

وبدأت تعود الى حالتها الطبيعية، وعندما نظرت الى أعلى رأت الآنسة نورتون تقف الى جانب آدم، وهي تحاول حثّ جيمس على النظر اليها. وسمعتها تقول لآدم أنه لا بد من نقله الى غرفتها للكشف عليه. وأجفل جيمس لدى سماعه ذلك، وسمعت صوته وهو يصرخ بطريقة هستيرية ويرفض أن يذهب معها. وحاولت الآنسة نورتون إنزاله من فوق المقعد ولكنه دفعها بعيداً عنه وهو يلتصق بسامانتا ويدفن رأسه في صدرها.

وبدأ آدم يشعر بأن جيمس في حالة لا تسمح له بإطاعة أية أوامر، فالتفت الى سامانتا وطلب منها أن تأخذه معها للعناية به لبعض الوقت، الى أن يتمكّن من ترتيب الأشياء في المعمل.

وصعدت سامانتا الى غرفتها وبصحبتها جيمس حيث أخذت تغسل وجهه ويديه، ووضعته في مقعد مريح بجوار المدفأة وأعطته علبة من الحلوى.

وبعد فترة قصيرة قال جيمس:

«كنت أريد فقط أن أرى التجربة التي كانت تجري في المعمل الليلة، وراق لي أن أحاول أن أفعل شيئاً، ثم اشتعلت النيران».

وانفجر جيمس في البكاء وهو يقول:

«أرجوك يا آنسة غولد أريد أن أعود الى منزلي الآن».

وعاتبته سامانتا لدخوله المعمل وحده بدون اذن من الآنسة نورتون، ولكنه قال لها إن الآنسة نورتون طلبت منه ألاّ يدخل الى المعمل بعد العشاء، فانتظر الى ما بعد موعد النوم وذهب.

ونظر اليها جيمس في قلق فحاولت سامانتا أن تطمئنه، ثم تركته في غرفتها وهبطت الى المعمل مرة أخرى فوجدته خالياً، وكانت آثار الحريق تبدو واضحة على الطاولة. وعاد آدم الى الغرفة في هذه اللحظة وهو يقول لها إنه

اضطر الى إبعاد بعض الأدوات الى الخارج. ولم يكن باستطاعتها أن تتبين حقيقة موقف آدم في ذلك الوقت، وحاولت شرح الأسباب التي دفعت جيمس الى القيام بهذا العمل وكيف أن إغراء المعمل كان أقوى من أن يستطيع أن يقاومه فرّد عليها قائلاً:

«الآنسة نورتون تعتقد أنه فعل ذلك تحدّياً لها».

فردّت سامانتا بحزم:

«الآنسة نورتون مخطئة».

ثم سادت فترة صمت قالت سامانتا بعدها:

«ان جيمس يريد العودة الى منزله الآن وفي هذه اللحظة».

«مستحيل، لا يمكن أن يتسلّل بهذه السهولة بدون أن يتحمل نتيجة عمله».

فقالت سامانتا:

«إنه في حالة تعسة وهو في حاجة الى الحب والحنان، وهو ما لا يتوفر من جميع الموجودين هنا».

ثم استطردت سامانتا قائلة:

«كما أن هناك جانباً آخر لهذه المشكلة فلو أن جيمس ظلّ في المدرسة، فانّ التلاميذ سيعرفون ما حدث، وبالتالي سيعرف الأهالي ذلك ويعتقدون أنّ هناك نوعاً من التهاون بالنسبة لاحتياطات الأمن بالمدرسة، مما سيكون له أسوأ الأثر على سمعتها».

وأضافت سامانتا أنه يمكنها إختلاق أي قصة لتبرير ما حدث في المعمل.

ولكن آدم ردّ قائلاً:

«وماذا لو رفضت هذا الرأي».

فرفعت سامانتا وجهها الى أعلى في تحدّ وهي تقول:

«سآخذ جيمس الى منزله الجديد، وأتركه هناك مع جدّته الجديدة فهي امرأة عطوف، وفي رأيي أنها ستعامله أفضل معاملة. وأرى أن ما أفعله في مصلحة

جيمس والمدرسة على حدّ سواء، وسأذهب الآن فوراً لأصحبه الى منزله ولا يمكن أن تمنعني يا سيد رويل».

قالت سامانتا ذلك واندفعت خارج المعمل.

وصلت سامانتا الى منزل السيدة غاريت حماة كريستين وأرادت سامانتا أن تعود الى المدرسة بعد أن اطمأنت الى نوم جيمس ولكن السيدة غاريت أصرّت على أن تبقى معها لتناول فنجان القهوة وبعض الفطائر وهي تقول:

«انك تبدين متعبة جداً وأخشى ألاّ يمكنك قيادة السيارة هذه المسافة الطويلة».

كانت سامانتا قد بدأت تشعر بالتعب، بعد أن زالت خطورة الموقف ولكنها كانت مصمّمة على العودة لتواجه آدم، لأنها كانت تعرف أنه لا بد وأن يكون في إنتظارها وهو غاضب لتحدّيها له، وأرادت أن تصفّي حسابها معه فوراً.

ورفضت كل عروض السيدة غاريت للمبيت عندها وودّعتها واتجهت إلى السيارة وجلست في مقعدها، وفجأة وهي تعود الى الخلف رأت شبحاً ضخماً يظهر بجانبها ووجلت سامانتا ولكنها بعد لحظة أدركت أنه آدم.

وقالت سامانتا وهي تنظر اليه من نافذة السيارة بعد أن تمالكت عصابها:

«ماذا تفعل هنا؟»

قال في لهجة مقتضبة:

«لقد جئت لأعود بك الى المدرسة في سيارتي».

«ولكن كيف عرفت الطريق».

«لقد تبعتك».

«كنت تنتظر طوال هذا الوقت في الخارج وأنت تجلس في السيارة».

«قضيت الوقت وأنا أتمشّى في المنطقة وأفكّر».

كانت سامانتا قد أمضت ما يزيد على الساعتين مع السيدة غاريت ونزلت من السيارة ورأتها وهي تتجه ناحيتها، فقدّم لها آدم نفسه وهو يقول

لها أنه جاء للعودة بالآنسة غولد وطلب منها أن يترك سيارة سامانتا أمام المنزل.

وأعربت السيدة غاريت عن سعادتها لحضور آدم وهي تقول:

«حسناً فعلت، فإنها متعبة جداً بعد كل ما حدث، ومن الأفضل أن تعود بها سريعاً الى المدرسة لتنال قسطاً من النوم».

ووجدت سامانتا نفسها تركب سيارة آدم وهي تتجه بها في طريق العودة الى المدرسة.

ولزم آدم الصمت وأخذت هي تنظر من نافذة السيارة وهي تشعر بمنتهى التعاسة، وشيئاً فشيئاً بدأت الصور تتلاشى أمام عينيها فاستندت برأسها على المقعد ولم تنتبه بعد ذلك إلاّ على صوت آدم وهو يقول لها أنهما وصلا الى المدرسة.

وهمهمت سامانتا:

«لا بدّ أنني إستغرقت في النوم».

فردّ آدم في اقتضاب بالايجاب. ثم فتح باب المدرسة الأمامي وسألها وهما يعبران الى البهو، إذا كانت تريد طعاماً أو شراباً، ولكن تعبيرات وجهه لم تشجّعها على طلب أي شيء، فسارعت بالقول بأن السيدة غاريت قدّمت لها القهوة.

فقال آدم:

«حسناً، اذهبي الآن وحاولي النوم لتنسي أحداث اليوم».

ولكن سامانتا كانت تريد أن تعرف القرار الذي اتخذه آدم بعد ساعتين من التفكير، وهو في إنتظارها خارج منزل السيدة غاريت، ولكن ما أن بدأت في توجيه سؤالها حتى بادرها بنفاد صبر:

«لقد قلت اذهبي الى سريرك».

«حسناً سأذهب»

قالت سامانتا ذلك وهي تجرّ قدميها لتصعد السلم الى غرفتها حيث إرتمت

فوق سريرها وراحت في نوم عميق.

وعندما إستيقظت في الصباح كانت أشعة الشمس تملأ الغرفة ورأت السيدة كمبل تقف الى جانب السرير وقد أحضرت طعام الافطار وقالت:

«ها هو إفطارك ياآنسة اغولد، فقد علمت من السيد رويل أنك قضيت ليلة فظيعة بعد الحادث الذي تعرّضت له في المعمل أمس، عندما إنقلب أحد المواقد على الطاولة».

جلست سامانتا في سريرها وهي تدفع شعرها الى الخلف، وشعرت بالارتياح. فقد أدركت أن آدم وافق على إقتراحها بإختلاق قصته لتبرير ما حدث في المعمل أمس.

وبينما هي تتناول إفطارها أخذت سامانتا تفكّر في موقف آدم، إنها هي التي أرغمته على عمل شيء يناقض طبيعته، ولا بد أنه تجشم في سبيل ذلك، عناءً نفسياً كبيراً حتى استطاع أن يروّض نفسه على الموافقة باختلاق هذه القصة، لقد أغضبته الى الحد الذي لا يمكن معه أن يغفر لها. وشعرت سامانتا أن أي علاقة بينهما بعد ذلك ستكون ضرباً من المحال، ولكنّها قرّرت بذل أي محاولة لاقامة ما يشبه الهدنة بينهما حتى يحين موعد مغادرته للمدرسة.

وبعد أن أتمّت سامانتا إفطارها، غادرت الغرفة واتجّهت الى مكتبها. وما أن فتحت الباب حتى وجدت آدم يقف الى جوار النافذة، وشعرت بأنه كان في أنتظارها ليحاسبها على موقفها منه ليلة أمس. ولكن آدم بادرها بسؤاله:

«هل تشعرين بتحسن الآن».

ولمّا أجابته بالايجاب قال:

«حسناً، الآن أريد منك أن تقومي بمهمّة لي. بأن تحضري لي أحد الكتب من الكوخ. كنت أود أن أذهب بنفسي ولكنني مشغول للغاية. يمكنك الذهاب بالأوتوبيس الى منزل السيدة غاريت حيث تأخذين سيارتك لتذهبي بها الى هناك».

وردّت سامانتا بالموافقة وهي تشعر بالراحة، فقد كانت تتوقع أن يثور آدم في وجهها وهو يوجّه اليها كلماته الوقحة ولكنه بدلاً من ذلك، بدا وكأنه يحاول تجاهل هذا الموضوع تماماً.

وأخذ آدم يوجّهها الى مكان الكتاب الذي يريده، ولكن سامانتا كانت تريد اثارة الموضوع فقالت:

«شكراً لحضورك الى منزل السيدة غاريت للعودة بي أمس ولاختلاقك قصة لتبرير ما حدث في المعمل».

ونظر آدم اليها قليلاً، ثم قال وهو يشيح بوجهه لينظر من النافذة:

«لم تتركي لي مجالاً للاختيار، أليس كذلك؟»

وقبل أن تفكّر سامانتا في الاجابة، فتح الباب ودخلت إستيل نورتون واتجّهت بنظرها مباشرة الى حيث يقف آدم وهي تقول:

«هل تسمح لي يا سيدي بدقيقة من وقتك، فإنني أريد إستشارتك في مسألة هامّة».

وتبعها آدم الى خارج الغرفة من غير أن يحاول النظر إلى سامانتا.

وتوجّهت سامانتا بعد ذلك الى منزل السيدة غاريت التي سعدت برؤيتها، وأخذت تحدّثها عن جيمس وحاولت أن تقنعها بالبقاء لتناول الغداء معها، ولكن سامانتا أخبرتها أنها حضرت لتأخذ السيارة للذهاب الى ستار.

كان الجو صحواً وقد بدت الأشجار أشدّ خضرة، وسامانتا تقود سيارتها في طريقها الى كوخ آدم، ولكنها كانت تشعر بالكآبة، حتى أنها لم تشعر بهذا الجمال الذي يحيط بها، ولم تتوقّف في طريقها لتناول الغداء. بل قادت السيارة رأساً الى منطقة التلال حيث يوجد الكوخ.

كانت سامانتا تريد أن تنهي مهمتها بسرعة، ولم ترغب في التجوّل في المكان فقد كان مليئاً بالذكريات. ولم تستطع منع نفسها وهي في طريقها الى الكوخ من إسترجاع كل ما حدث بينها وبين آدم، وكيف بدأت الأمور تسير

بينهما بطريقة حسنة. وتذكّرت ذلك اليوم الذي حضرت فيه مع آدم الى هذا المكان، ويوم ذهبت معه الى المسرح. ثم كيف توتّرت العلاقات بينهما حتى وصلت الى الحدّ الذي وصلت اليه أمس. وتوقّفت سامانتا بالسيارة لحظة وأسندت رأسها الى عجلة القيادة وانفجرت في البكاء. ثم إعتدلت في جلستها بعد أن هدأت قليلاً واستأنفت السير لتصل الى الكوخ.

وعندما وصلت نزلت من السيارة، وشعرت بالحزن يعتصر قلبها وهي تتّجه الى باب الدخول.

وما أن وصلت الى الكوخ حتى فتح الباب وظهر آدم.

اهتزّت سامانتا بعنف واهتز العالم كله من حولها، لا بد أنها كانت تحلم قالت سامانتا تحدّث نفسها وهي لا تكاد تقوى على الوقوف ولكنها تنبّهت الى أنها ليست في حلم فقد سمعت صوت آدم وهو يقول مطمئناً:

«لا تخافي يا سامانتا فأنا لست شبحاً».

واستطرد وهو ينظر اليها وما زال بمكانه:

«لقد انتظرتك طويلاً، وخشيت ألاّ تحضري على الاطلاق، فروّعت من هذا الهاجس خاصة بعدما كان منّي معك».

لم تنطق سامانتا بكلمة فقد تسمّرت في مكانها وهي تنظر في عيني آدم ثم شعرت فجأة بالدماء الدافئة وهي تندفع اليها، الى كل جزء من جسمها لتعيد اليه الحياة من جديد. وسمعت آدم يقول في صوت خافت:

«لقد حاولت مقاومتك كثيراً يا سامانتا، كنت أعتقد أنه لن يمكنني العثور على الفتاة التي يمكن أن تغيّر موقفي من النساء، ولكنني عثرت عليك يا سامانتا».

ولم تسمع سامانتا شيئاً بعد ذلك، ولم تدر كيف إندفعت لترتمي بين ذراعيّ آدم، كل ما تعرفه الآن أنها بين ذراعيه ملتصقة به تسمع دقات قلبه.

وظلاّ متعانقين لحظات، ثم إبتعدت عنه قليلاً ونظرت الى وجهه، وكأنها تريد التأكد من أنها ليست في حلم، ثم اندفعت من جديد لترتمي بين ذراعيه، وضمّها

آدم اليه بقوّة ثم قال:

«كان الانتظار قاسياً يا سامانتا، وأعتقدت أنني فقدتك وأنك لا بدّ تكرهينني».

وهمست سامانتا بأنها لا تكاد تفهم شيئاً مما حدث، فقال آدم وهو ينظر في عينيها:

«كل هذا لا يهمّ الآن، المهم هو أنني أحبك... وأشعر أنك تبادلينني شعوري، أليس كذلك يا سامانتا...»

فنظرت اليه وهي تبتسم وقالت:

«ما زلت مغروراً أليس كذلك... وما زلت تعتقد أنه لا يمكن لأي فتاة أن تقاوم سحرك الفتّال».

فأخذ آدم وجهها بين يديه وطبع على عينها قبلة طويلة وقال مبتسماً:

«هل يمكنك مقاومتي هذا ما أودّ معرفته؟»

وعندما اعترفت له بأنها لا تعتقد ذلك ضحك بصوت عال ثم سألها:

«هل تتزوجينني يا سامانتا، لا أعتقد أنك مرتبطة حقاً بريتشارد».

فابتسمت وهي تقول:

«ان ريتشارد صديق عزيز، ولكنه يهتمّ بعمله في المكسيك أكثر من إهتمامه بالتفكير في الزواج الآن».

وتنهد في إرتياح وهو يقول:

«والآن ما رأيك في أن نذهب الى الكوخ لاحضار بعض الطعام للغداء ثم نصعد الى أعلى التل».

«وماذا عن المدرسة».

«ان السيد جونز يتولىّ الاشراف الآن، كما أن معه الآنسة نورتون وهي ترعى المدرسة بعين يقظة».

وأمسكت سامانتا يده وهي تقول:

«كنت أعتقد أنك تنوي الزواج منها».

فهتف قائلاً:

«لا، لن يحدث هذا أبداً».

وبعد تناول طعام الغداء جلست سامانتا ترقب آدم، وقد إستلقى على ظهره على الحشائش وسألته:

«أدركت أنك...»

وقاطعها آدم:

«أدركت أنني أحبك... منذ أول لحظة رأيتك فيها، وشعرت بالخطر، فقد أثرت في نفسي مشاعر لم تقو أية فتاة أخرى على إثارتها».

«ولكنك كنت...»

«وقحاً... وفظيعاً... ألا تقصدين ذلك؟»

«ليس هذا ما أقصده تماماً ولكنك كنت فظاً».

ثم سألته:

«لماذا يا آدم ألا تريد أن توضّح لي السبب؟»

ونهض آدم من رقدته واعتدل في جلسته وقد إكتسى وجهه تعبيراً جاداً وهو يقول:

«لقد تعلّمت منذ صغري ألاّ أثق بالنساء».

واستطرد يقول:

«كان أبي رجلاً كريماً وأحبّه الى درجة كبيرة، وكان هو يحب والدتي ويثق بها ويحاول إسعادها بأية طريقة، ولكنها قاسية وكنت أراها كل يوم وهي تحطّم كل هذه الثقة وكل هذا الحب. كانت أنانية تلجأ الى الغش والكذب والخداع الى أية وسيلة لتحقيق ما تريد. لم تكن تهتمّ بنا أنا وأخي الذي يصغرني، وعندما تركتنا في النهاية وذهبت، كان أبي قد تحوّل الى حطام ولم يتحمّل الصدمة فمات بعد ذلك بعامين».

وأعقب بعد ذلك فترة من الصمت قطعتها سامانتا وهي تقول:

«آسفة يا آدم وأعتقد الآن أنني بدأت أفهم ولكن...»

ثم مالت قليلاً الى الأمام ولمست يده وهي تضيف:

«ولكن أمك وحدها لم تكن السبب في ذلك، كان هناك سبب آخر أليس كذلك؟»

فنظر آدم بعيداً وبدا لبعض الوقت وكأنه لم يعد مهتماً ثم سألها:

«هل من الضروري التحدث في هذا الموضوع».

«نعم أرجوك، فقد حدث الكثير وأريد أن أتأكد من بعض المواقف».

«حسناً سأقول لك حقيقة ما حدث».

واستطرد يقول:

«كان لي أخ كما أخبرتك من قبل. كان يدعى جيمي ويصغرني بست سنوات وكنا ملتصقين ببعضنا الى درجة كبيرة، وربما كان موقف والدتي منّا قد ساعد على ذلك، كان أخي رائعاً وذكياً. وبعد وفاة والدي إنفصلت للاقامة في كمبردج وبقي هو في منزلنا ولكنني كنت أراه كثيراً. وأثناء دراسته الجامعية إلتقى بفتاة في إحدى مباريات التنس التي كنت أشترك أنا فيها أيضاً. كانت فتاة جميلة ومليئة بالحيوية وكل ما يهمها، على ما يبدو، قضاء وقت ممتع. أما هو فقد تعلّق بها الى درجة كبيرة ولم تكن له خبرة بالفتيات كانت هي فتاته الأولى والوحيدة والأخيرة».

وهمست سامانتا تستحثّه على المضي وهي تدرك تماماً أن هذه الفتاة هي ليزا. انها نفس القصة التي سمعتها من قبل ولكن مع بعض التزييف في الحقائق من جانب ليزا.

فاستطرد آدم يتحدّث بسرعة وكأنه يريد الانتهاء من الحديث:

«حسناً. لقد وعدته الفتاة بالزواج ولكنّها تخلّت عنه في قسوة بعد أن ظهر في حياتها رجل غنيّ وشعرت أن الصدمة قد حطّمت جيمي، وبعد ذلك ببضعة أيام ذهب مع صديقه الى سكوتلاندا ليتسلّق الجبال ثم عرفت أنه سقط من ارتفاع مائتي قدم ليلقى حتفه على الفور».

وهمست سامانتا بعد أن زال عنها تأثير هذه القصة:

«لكن، هل تعتقد أنه تعمّد قتل نفسه».

«لا يمكن الجزم بذلك، فقد كان جيمي شاباً رياضياً قوياً بارعاً في تسلّق الجبال، وكان من الغريب حقاً أن يتسلّق الى مثل هذا الارتفاع بدون أن يستخدم حزام الأمان، في أي حال قيّدت الحادثة قضاء وقدراً».

«ولكنك لا تعتقد ذلك؟»

أجاب آدم وهو ينظر الى بعيد:

«لقد رأيت جيمي قبل توجّهه الى سكوتلاندا كان انساناً محطماً ليست فيه رغبة في الحياة».

وأعقب ذلك صمت طويل. وبدت سامانتا وقد فهمت عنه ما لم تفهمه من قبل. لقد وقع في الخطر لا مرّة واحدة بل مرتين، وكان ذلك بسبب امرأة.

«ثم ذهبت لمقابلة الفتاة وكان لقاءً عاصفاً. وقلت لها رأيك فيها بصراحة. ونفضت يدك منها الى الأبد».

والتفت آدم اليها وقد فوجىء بقولها هذا وسألها:

«كيف عرفت ذلك؟»

«كانت هذه الفتاة هي ليزا أليس كذلك، انها لم تنسك أبداً ولم تسامحك قط».

«نعم كانت ليزا».

وانتهى الكلام عند هذا الحد، وقد اتضح الموقف تماماً أمام سامانتا التي إقتربت من آدم، فوضع ذراعه حول كتفيها ولفهما الصمت وهما ينظران الى التلال من حولها وغرقا في السكون الذي يسود المكان.

وانحنت سامانتا في جلستها قليلاً لتلتقط إحدى الزهور البرية الرقيقة، ومدّت بها يدها لآدم وهي تردّد أحد أبيات الشعر:

«رأيت زهوراً تنمو في بقاع صخرية...»

ثم نظرت الى آدم وهي تقول:

«انني أثق في هذا القول أيضاً».

ونظرت في عينيه متسائلة:

«وأنت يا آدم. هل يمكنك ذلك؟»

ونظر في عينيها طويلاً وانحنى عليها قبل أن يقول:

«ولكنني أثق بك أنت وإلى الأبد».

وتنهّدت سامانتا في ارتياح وهي مسترخية بين ذراعي آدم وهمست قائلة:

«هذا كل ما أردت أن أعرفه».

www.elromancia.com
مـــر مـــو ريـــة